روايات عبير

زواج بالقوة

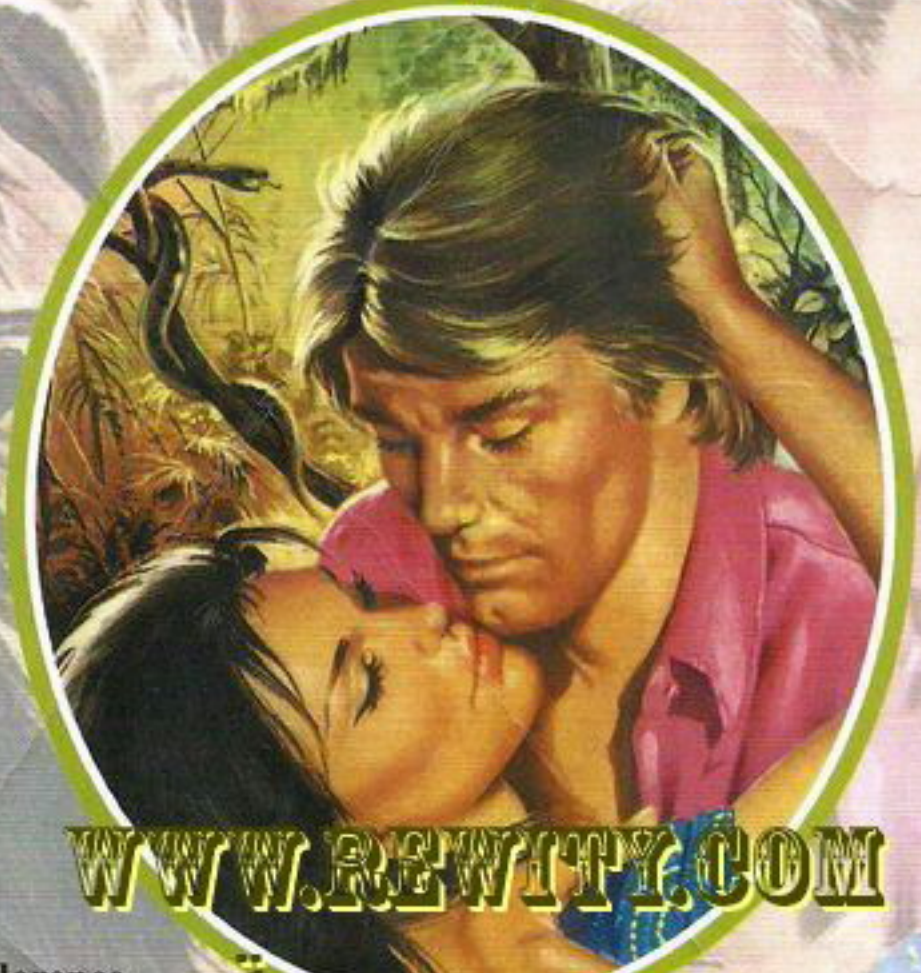

WWW.REWITY.COM

Florence
CAMPBELL

مـــرمـــوريـــة

N°560

روايات عبير

أطلقت
" أني " زفرة طويلة وقالت ل " جوني " :
– ولكن " شيز " لا يتذكرني .. ولا يتذكر ما حدث بيننا .. إنه يريد إلغاء الزواج .
– وأنت لا تريدين ذلك . أليس كذلك ؟
قالت وقد زاد نشيجها وارتفع عويلها :
– أنا أحبه .. أعتقد أن هذا واضح .. أليس كذلك ؟
– بلى هذا واضح يا " أني " .. في كل مرة تنطقين فيها اسمه يظن المرء أنك تتلين صلاة . هيا .. احكي لي ما الذي حدث ؟
انطلقت " أني " في سرد حكايتها الحزينة أمام نظرات " جوني " المذهولة وأنهت الحكاية قائلة :
– أنا كارثة حقيقية .. هذا ما يقوله .

www.rewity.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٤ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٢،٥ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-424-09-8
9 789953 424095

الغلاف الأمامي

يعمل "شيز" في المهام السرية التي تكلفه بها المخابرات الحربية الأمريكية. وفي إحدى المهام في "كوستاريكا" بـ"أمريكا الوسطى" كلف بإنقاذ مجموعة من العلماء الأمريكيين، ولكنه ورفاقه يفشلون عندما يقتل المتمردون هؤلاء العلماء. وينجح هو في إنقاذ صبية في السادسة عشرة من عمرها ولكن يقع له حادث انقلاب سيارة وهو في طريق الهروب ويفقد الذاكرة. وفي المستشفى يخبره زملاؤه بأن الفتاة قتلت أيضا. ويصاب بصدمة نفسية تجعله يعتزل العالم والعاصمة بعد هجوم الصحافة عليه. بعد خمس سنوات يفاجأ بوصول امرأة تدعي أنها زوجته التي زوجها له قس في "كوستاريكا" حتى تكتسب الجنسية الأمريكية، وتستطيع الهروب من الشرطة والمتمردين وهذه الزوجة هي الفتاة التي أنقذها وادعى زملاؤه أنها قتلت..

شخصيات الرواية

- "تشارلز بودين" "شيز": رجل كان يعمل في الخدمات السرية بالبحرية الأمريكية ثم صائدا للجوائز باصطياد المطاردين من سارقي الماشية.

- "آني ويلز": شابة أمريكية، كان والداها الطبيبان يعملان في أحراش "كوستاريكا" وقتل المتمردون والديها وأنقذتها الأخوات الصالحات في الدير.

- "جيوف دياز": مساعد "شيز".

- "جوني ستارهوك": مساعد "شيز".

- الأخت "ماريا أتوسينتا": رئيسة الدير في "كوستاريكا" والتي أنقذت "آني".

"جاك لابواز": مجرم كثير الهروب من السجن.

www.rewity.com

الفصل الأول

مزق السكون صوت طلقة مسدس واطارت إلى السماء الخالية سربا من النسور. وامام هذا الضجيج المفاجئ تجمدت "اني ويلز". احاطت دوامة من الغبار حذاءها الرياضي المستهلك عندما استدارت لتفحص الطريق الحجري الذي قطعته. ارادت أن تعرف من أين اتت هذه الضجة، وتساءلت كم عدد الرجال الذين باستطاعتهم استخدام المسدس كسلاح؟ لا يوجد سوى واحد فقط وهي تعرفه، أخذ العرق الذي سال من جبينها يحرق عينيها. استيقظت كل حواسها وألمتها.

كان من الافضل أن تفحص الأفق.. لم تر سوى الأراضي الصخرية والبومنج على امتداد البصر والسماء بلون ازرق ومسحوق الذهب الذي ارتفع من طيران النسور. اصاخت السمع ولم تسمع سوى صوت دكتكة السوط الذي تردد صداه في الصخور.

انتظرت "اني" وهي تغامر فقط بالتنفس حتى تستعيد الطبيعة

هدوءها. لقد قطعت بالفعل عدة كيلومترات منذ أن انزلتها الحافلة في بلدة "بينتر بوني" وهي اقرب بلدة من وسط الجبال، التي كانت متجهة إليها. وهبت نسمة حارة واعدة بالأمل. إنها تحسه بوضوح مثل الحيوان الذي يحس بتغير الجو. سمعت عن بعد في مكان ما كلبا ينبح وصهيل جواد خفيفا. بدا قلبها ينبض بلا انتظام.

وقف رجل عند حافة النهر الجاف. كان ظهره إليها، وقد ظهرت كتفاه العريضتان ضد الافق الازرق والأبيض. وكان شعره طويلا وأسود مجعدا، وكان معطفه الخفيف الطويل الذي يكاد يلمس الأرض يشبه ذلك الذي كان يرتديه قطاع الطرق ليخفوا أسلحتهم، ولكن الرجل استبدل السلاح الناري بسوط طويل مجدول.

كانت "اني" تعرفه.. لقد سبق أن رأته وسط حمى العمل بسوطه الذي يستخدمه مع الماشية سمعت صوت صفير حاد أدار انتباهها نحو غريم الرجل الذي يواجهه.. على بعد مترين منه حية ضخمة ذات اجراس بلون الماس وقد ووجهت بكلب. كانت الحية مستعدة للهجوم على مقتحمي ملجئها وقد نفشت اجراسها. كان الكلب ينبح وهو يرتجف ويزمجر.

وجه الرجل ضربة ساحقة للحية رفعتها إلى الهواء، حيث سقطت عند ملتقى الجبلين حيث وقفت "اني". كتمت صرختها بينما كانت الحية تزحف نحوها؛ وبالغريزة انتصبت وهي مستعدة للفرار. صاح الرجل

- لا تتحركي!

وكان الأحرى ان يطلب منها الا تتنفس. عندما استدارت بحثت عن الحية بعينيها ورمقتها تزحف مثل نهر فضي داخل الرمال.

احست الشابة بالخلاص واوشك أن يغمى عليها، وعندما صارعت

لتحتفظ بتوازنها انزلقت الأحجار من تحت قدميها.. لم يكن لديها أي فرصة للنجاة حيث استقرت على الأرض مغطاة بالتراب عند قدمي الرجل. سالته بعد فترة بصوت هامس وهي تنظر في عينيه مباشرة:

- أنت "تشارلز بودين"... اليس كذلك؟

كان له نفس الوجه النحيل القاسي، والجمال الوحشي، والفم الواسع والذي احتفظت بصورته في ذكرياتها.. إنه لم يتغير.. حتى حاجبيه الكثيفين الأسودين..

رد:

- ربما.. ولكن من أنت؟

وجدت "اني" صعوبة في استرداد أنفاسها.

- أنا زوجتك!

###

نادى "شيز" على جواده وساعدها على امتطائه. قال الرجل في نفسه لابد انها مخبولة اصيبت بضربة شمس أثرت على حواسها.. أحس نحوها بالعطف وهو يحيط وسطها بذراعه حتى تثبت على ظهر الجواد.. إنها لم تكد تنطق بهذه الحماقة حتى فقدت الوعي. أصبح من المستحيل إذن أن يطرح عليها أسئلة. إنه لا يفهم حقا من أين هي أتت إلا من "بينتر بوني"، ولكن لابد أنها فقدت صوابها حتى تقوم بالرحلة وسط النهار تحت شمس في عنفوانها. همس وهو غير مصدق:

- زوجتي؟

إنه لم يفكر أبدا في الزواج ما لم يكن ذلك قد حدث في مراهقته عندما أولع هياما ببهلوانة ذهب لمقابلتها في مقطورتها الرحالة، ولكن غرامهما لم يستمر بعد رحيل السيرك وليس معنى هذا انه ضد الزواج. بل بالعكس لقد كان يعشق حفلات الزفاف. ولكن حدث كرهه

للزواج بعد أن بدأت متاعبه.

لكز "شيز" جواده والصق المرأة به. كانت الرحلة للوصول لقمة الجبل قصيرة ولكنها محفوفة بالمخاطر القاتلة. وتطلب الأمر من "شيز" أن يركز كل انتباهه للوصول إلى وجهته.

وعندما وصل "شيز" إلى السطح المستوي ادرك أن راحة يده مشغولة بشيء طري وشديد النعومة فتركها في الحال. في فزع. إنه لم يقابل في حياته يدا بهذه النعومة والحرارة وكان جمالها يفقد الرجل عقله. لقد خلقت هذه المرأة من أجل الرجل.

تساءل: ما الذي يجري له؟.. إنه راعي بقر وعليه أن يترك المرأة في حالها.. عندما خطرت هذه الفكرة على باله وجد أن المرأة لا تتحرك. لقد مضى وقت طويل لم يقترب فيها من امرأة وبدا أن ذهنه يريد أن يعوض هذا الحرمان بهذه الفرصة الذهبية.

سمع تنفس المرأة المضطرب الذي يدل على إثارتها. وكانت تفاحة آدم تتصاعد وتنخفض مع كل نفس.. أخذ يحلم ولكن همسا خفيفا انتزعه من أحلامه. كانت المرأة ملتصقة به كالطفل.

كان "شيز" لايزال غارقا في أحلامه عندما وصلا إلى وجهتهما. كان كلبه "شادو" ينبح وهو يهز ذيله عندما وضع الرجل قدمه على الأرض وحمل المرأة بين ذراعيه. كانت خفيفة مثل الريشة ونحيفة لدرجة مخيفة. وعندما حملها إلى البيت ساوره إحساس بان هذه المخلوقة تشبه المرأة التي عبرت من قبل جحيم حياته، ولم يعرف من أين جاءه ذلك الإحساس.

إنه يلزمه وقت طويل ليفكر. من هي؟ تساءل وهو يحاول التذكر إن كان قد التقى بها في مكان ما، أو سبق أن رآها.. إنها لا تذكره بشيء محدد.. وبالتأكيد ليس بالزواج. ابتسم ابتسامة خفيفة وليس واثقا

تماما بان المرأة هي سبب ابتسامته. إنها نسخة مصغرة من المرأة، وإن كانت تقاسيم جسدها رائعة فضلا عن تقاطيعها الفاتنة. طبعا ضيفته لا تصلح للدخول في مسابقة ملكات الجمال بشعرها الأشعث وكأنها خرجت من معركة شرسة مع امرأة أخرى، ولكن ملامحها الفريدة لا ينقصها السحر.

سأل "شيز" كلبه الذي مد نحوه رقبته:

- ما رأيك؟ ما الذي تنتظره منا؟

أخذ يربت على الكلب وواتته فكرة مفاجئة ومزعجة.. ربما كانت صحفية تريد عمل تحقيق صحفي حول "تشارلز بودين" البطل رغم أنفه. إنها لن تكون المرة الأولى.. ولكن الصحفي لن يخاطر أبدا بأن يصاب بضربة شمس أو مقابلة الحيات الرقط ذوات الأجراس من أجل كتابة مقال.

تأمل "شيز" البنطلون الجينز المستهلك الخاص بالشابة عندما تحركت وهمهمت بكلمة شبه مسموعة... سألها:

- ماذا؟

- ماء...

- في الحال.

مد "شيز" ذراعه وأخذ كوبا من الدولاب البدائي.. إنه لم يفكر في الفخامة عندما اشترى هذا البيت.. لقد بحث فقط عن ملجأ يحوي مجرد الضروريات فقط: حجرة وحمام وحجرة معيشة ومطبخ... لا شيء يمكن أن يغري أي امرأة بالحياة فيه.

ملأ الكوب بالماء الذي يحضره من النهر ثم جلس بجوارها وقال وهو يرفع الكوب لشفتيها:

- ها هو ذا!

فهم "شيز" في الحال أنها في حاجة إلى المساعدة. فأجلسها ليساعدها على احتساء الماء. وجدها- لأسباب لا يفهمها- شديدة الجاذبية وهي ضعيفة وهشة وهي ترتشف الماء في أحد أكوابه. يا إلهي! إنه في حاجة إلى شيء قوي يهدئه لو استمرت مشاعره على هذا الحال. وما الذي عليه أن يفعله حتى يتأكد من أنها لم تصب بالحمى. شكرته الشابة بهزة خفيفة من رأسها وهي تنظر إليه بإمعان بعينيها الزرقاوين شديدتي العمق حتى إنه اضطر إلى أن يشيح بعينيه بعيدا عنها.

تساءل "شيز" بأي سؤال يبدأ استجوابه لهذه المرأة التي ضلت طريقها؟ من أين أتت؟ إن لديه سؤالين آخرين شديدي الصلة بالموضوع لابد أن يطرحهما عليها. وبدلا من أن يفعل قال لها مقترحا:

- هل تريدين أن أغسل لك وجهك؟

- نعم من فضلك.

إن لها طريقة ساحرة للغاية في قول ذلك. أحضر وشاحا أحمر لفه حول عنقها ثم غمس طرفه في كوب الماء وأخذ ينظف وجهها. أغمضت عينيها تحت تأثير تدليكه لوجهها. ولدت هذه الحركة البريئة لديه رغبة غريبة.

تنهد... يا إلهي! أرجو ألا تفتح فمها قبل أن أنتهي من عملي وألا تنطق بكلمة. نظر إلى بلوزتها.. لقد كانت ضيقة جدا لدرجة أنه عرف السبب في عدم تمكنها من التنفس بارتياح وأدى ذلك إلى فقدانها الوعي. سألها وهو يلمس ياقة البلوزة:

- هل تحبين أن أخفف ضغط البلوزة عليك؟

قالت -وهي لاتزال تغمض عينيها-:

- نعم

www.rewity.com مـروريـة

وضع "شيز" الكوب على المائدة واخذ نفسا وبدأ يفك أزرار البلوزة.. فك ثلاثة أزرار ثم تساءل إلى أي مدى سيستمر في هذا العمل المضني لأعصابه.. عندما فتحت عينيها.. بدا وكأنها تراه لأول مرة. سألته:

- هل تظل محتفظا بقبعتك وسترتك في البيت؟ لم يكن هذا هو السؤال الذي كان ينتظره، لم يعد يعرف اي مسلك يسلكه وترك نفسه تخاف منها بطريقة غريبة.

قال وهو يخلع سترته:

- هذا يعتمد على الظروف؟

- اية ظروف؟

- الجو.

كان وهو يرد بلهجة خشنة -يامل أن يجعلها تشعر بالياس من الحديث في هذا الموضوع، ولكن بعض النساء لا يعرفن أبدا كيف يتوقفن.

تذكر ذلك وهي تحدجه بعينيها الزرقاوين في إلحاح وعمق متسائلة. لقد بدت هشة مثل الطفل المهجور، وعنايته بها تضطره إلى استخدام الرقة التي لم يتعود عليها وهو السريع الغضب في العادة. ثم إنه يحس الآن بهذه الرغبة العفوية التي تدفعه إلى الثرثرة التي قد تعرضه للخطر. وحاول جاهدا الا يلعب دور الأم الحانية وان يستعيد سيطرته على نفسه. قالت له:

- ولكن الجو ممتاز هنا.

- إنك قد تدفعيني إلى خلع ملابسي يا صغيرتي هل تفضلين أن افعل ذلك؟

احمر وجهها خفيفا ولكن اهتزاز رموشها الخفيف هو الذي أسعد "شيز".

هناك في مكان ما من المراكز المنطقية في مخه، اخذت إشارة عاطفية تومض بانتظام: الحذر... الحذر!

مال نحوها وحاول دون جدوى أن يعيد ربط الزر الثالث من البلوزة، ثم انتفض واقفا فجاة والقى بقبضته التي سقطت فوق مائدة المطبخ ثم قال -وهو يسترد انفاسه مع تجنب النظر إليها-:

- حسنا..! اريد أن اعرف ماذا كنت تفعلين هنا؟.. من انت؟

أجابته دون أي تردد:

- "آني ويلز".

لم يخبره ذلك بشيء ولكنها كانت تنظر إليه برباطة جاش لدرجة انه وجد نفسه يسالها:

- وهل هذا يعني شيئا؟

- آه.. بالتاكيد .... بالتاكيد.. لقد تزوجتني منذ خمس سنوات.

- انا تزوجتك؟ هذا لا معنى له.

من الواضح انها تمادت في الأمر.. ولكن كان من الصعب أن يراهن على الجزء الأخير من تاكيدها.

- وهل كان ذلك منذ خمس سنوات؟ لم اكن اعيش في هذه البلاد منذ خمس سنوات لقد كنت...

- في "امريكيا الوسطى".

ثم اضافت بلهجة مرحة:

- لقد كنت في مهمة إنقاذ خاصة بوزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" وكنت انا جزءا من الأمريكيين الذين قمت بإنقاذهم.

دهش "شيز" تماما.. لقد اعادت ذاكرته بقسوة إلى فترة ومكان من المستحيل أن ينساهما.. تلك المهمة إلى "كوستاريكا" والتي كانت بالنسبة له كابوسا حقيقيا.. لقد أرسلوه وفريقه لتحرير علماء

www.rewity.com

أمريكيين أسرهم المتمردون.. وكانوا قد تفرقوا حتى يعثروا على الأمريكيين.. والأسيرة الوحيدة التي تم العثور عليها حية كانت فتاة مراهقة مختبئة في دير هدمته القنابل.

وكانت ماساته انه لم ينجح في إعادتها سليمة معافاة. فقد لقيت حتفها في حادثة سيارة على الطريق المؤدي إلى الجبهة. وهو نفسه خرج سليما باعجوبة.

قاطعها بخشونة وهو يحاول إيقاف سيل ذكرياته وهو ممزق ما بين الغضب وعدم التصديق: من هذه المراة بحق السماء؟ ردت:

- لا.. بل إنه انت.. "تشارلز بودين".

إن الرجل الذي انقذني كانت له نفس سحنتك. وكان يدعى "شيز" وكان يستخدم ايضا سوطا، آه.. أرجوك ان تتذكر! لقد كنت مختبئة في دير في ضواحي "سان لويس" عندما عثرت علي -لقد كنت هناك من شهر منذ ان قتل الإرهابيون والدي.

انقطع صوتها فجاة وكانها تجد صعوبة في الاستمرار، ثم استطردت:

- إنني اتذكر ادق التفاصيل.. لقد جرحك احد المتمردين، وكان موجها سلاحه نحوي وقمت بنزعه منه بسوطك. فاخرج مدية هل تتذكر؟

أحس "شيز" بالم ممض في المكان الذي انغرس فيه سلاح المدية عند ساقه..

أخذ قلبه ينتفض داخل صدره عندما خرج بسرعة للخارج حتى يستطيع أن يسترد انفاسه وسيطرته على نفسه. لابد من وجود تفسير منطقي ومن الأفضل أن يجد حلا.. ولكن قد تكون إحدى الصحفيات الدؤوبات كالنحلة والتي تهتم بالتحقيق حول بعثة "كوستاريكا"؟ ومن

غيرها يعرف هذه التفاصيل؟ لابد أنها حصلت على هذه المعلومات من التحقيقات الصحفية وقتها والتي كانت غنية بالمبالغات.

سالته -وقد احست ببعض الإهانة والجرح لكرامتها-:

- ولكن لماذا لا تصدقني؟ إنني اقول الحقيقة.

استدار ليتاملها واكتشف أنها جلست بصعوبة واسندت إحدى كتفيها على الجدار، قرأ في عينيها الأمل والخوف وكذلك عاطفة جعلته يحس بالعذاب.. والياس. إنها تطلب -يائسة- شيئا ما.. ولكن ما هو؟ الاعتراف؟ ما الذي تنتظره منه؟ بذل جهدا خارقا ومؤلما حتى يبدو قاسيا من أجل الا يغرق في سحر عينيها. قال:

- وأنا اقول الحقيقة يا "اني ويلز".. واثق تمام الثقة انني لم ارك في حياتي ابدا.

فكر "شيز" انها لا يمكن ان تكون تلك المراة التي تدعيها.. ولياخذ الله روحه! لقد اغرق دم تلك المراهقة يديه، وكان هو وراء عجلة القيادة عندما انحرفت عن طريقها.

اخذ يبحث في ذاكرته عن مراهقة واي دليل يثبت أن تلك المراة هي نفسها. ولكن لم يكن لديه سوى ذكريات مبهمة.

إن إصابته بالحمى التي عانى منها خلال مهمته قد اثرت على ذاكرته، وبالتالي على حسن حكمه على الأمور.. لقد ادى الحادث إلى إسدال ستارة من الضباب على ذكرياته.. وهو لا يستعيد سوى ذكريات نادرة وقليلة جدا.

لقد قال لـ"اني ويلز" الحقيقة ولكن ليست كل الحقيقة.. ليس لديه أي ذكرى عن الشابة التي انقذها قبل ان تلقى حتفها بعد ذلك، إنه لا يستطيع حتى أن يتذكر اسمها.

قالت له في تحد واضح:

www.rewity.com

- سأقدم لك البرهان. اطرح علي أسئلة كل الأسئلة التي قد تخطر على بالك.

- إن هذا ما أنويه فعلا.

لم يكن من عادته أن يسبب الألم للنساء الضعيفات ولكنه كان ينتظر إجابات صادقة حتى لو اضطر لذلك أن يخيفها.

إنه يعمل مع اتحاد مربي الماشية في "وايومنج" منذ أن استقر بها. وقد طارد عددا ضخما من سارقي الماشية والجياد. وليست هذه الشريحة من النساء هي التي ستطاوله في عنادها.

قال وهو يخرج سلاحه من جرابه:

- أنا منصت إليك وليس من مصلحتك أن تقولي كلاما خادعا.

كان من الواضح أن "آني ويلز" تجد صعوبة بالغة في استعادة أنفاسها. لقد كانت تخشى ما سيحدث في اليوم الذي ستلتقي فيه بـ"تشارلز بودين" ولكنها لم تتصور أبدا ما حدث.

من الواضح أنه لا يتذكر حتى شخصها. إنها تجد صعوبة في تصديق ذلك. كيف استطاع أن ينسى ما فعلاه معا؟ ليس أمامها سوى حل واحد: وهو التمسك بالحقائق، وأن تحكي بالضبط ما حدث.

قالت.. وهي تسيطر على انفعالها:

- لقد تلوث جرحك، لم تكن الأجواء الاستوائية الشديدة الحرارة سوى نقمة وكان من الممكن أن تموت؛ ولذلك استدعيت قسا.

- لماذا؟ من أجل اعترافاتي قبل الموت؟

- لقد كان يعمل طبيبا ساحرا قبل أن يصبح قسا. وكان يعرف خصائص الأعشاب والنباتات وقد أعطاك بعض جذور الأعشاب لتخفيض درجة الحمى عندك، ثم أعد لك مضادا حيويا من الطين والصلصال. ولما لم يحدث لديك أي رد فعل بدأ يصلي ويدعو.

قال "شيز" ساخرا:

- لم يحدث مثل هذا.

- لا تسارع بالتهكم هكذا.. على أية حال أنت لا تزال على قيد الحياة.

ترددت لحظات وهي تسوي ياقة بلوزتها:

- لقد اقترح أن يساعدني أنا أيضا؛ لأنه لم يكن عندي أية أوراق وبالتالي ليس لدي ما أثبت به أنني أمريكية. وقد ساعدني باعتباره قسا في الوصول إلى بعض السجلات.

- أية سجلات.

ردت عليه في الحال -وهي تخشى ألا تخرج الكلمات من فمها فيما لو ترددت لحظة- قالت وهي تلاحظ رد فعله:

- من تلك السجلات أعد لي عقد زواج. فزواجي من أمريكي يمنحني أليا الجنسية الأمريكية، وإذا ما قبض علي بواسطة الجيش أو المتمردين على حد سواء فإنهم سيترددون في القبض علي إذا كنت زوجتك. وبدون أوراق لن يكون لي لا هوية ولا وطن.

ردد كلامها كصدى الصوت في لهجة أحيت بصيصا من الأمل عند "آني":

- زوجتي؟

- نعم.. لقد تمسك القس بإجراءات الزواج السليمة شكلا وموضوعا. وبغير ذلك لم يكن ليمنحنا الأوراق.

- إذا كنت قد فهمتك جيدا فإنك تدعين أنني تزوجتك.

إنه لا يستطيع أن يصدق.. وكانت "آني" تلاحظ ذلك جيدا. إنه لا يحتفظ بأي ذكرى على الإطلاق لقد كان مريضا لدرجة الهذيان.

- إن الأمر يبدو جنونا وأنا أعرف ذلك. ولكن الأمر لم يكن سوى

www.rewity.com مرمورية

إجراء رسمي ووسيلة للخروج من المازق. ولقد كنا مدركين لذلك نحن الاثنان.

قال ردا عليها بصوت قاطع:

- ربما انت. ولكن بالنسبة لي فإن ذلك لم يحدث ابدا. إن الوعد الوحيد الذي اقسمته كان في اليوم الذي اوشك فيه والداي أن يقتل كل منهما بزجاجة الشراب القوي بعد أن ابتلعا محتوياتها. في هذا اليوم اقسمت الا اتزوج ابدا. إذن اخبريني يا "آني ويلز" لماذا احنث بقسمي ذلك من أجلك؟

ارتجفت "آني" إنها لا تعرف بماذا تجيب على سؤاله ولكنها تمكنت بصعوبة من ان تجيبه قائلة:

- لست ادري لماذا. ربما كان بدافع العرفان بالجميل.

- ولماذا بحق السماء؟

أحست بالإحباط. كانت لديها رغبة في ان تقول له: إن ذلك العرفان بسبب أنها انتزعته من بين براثن الموت.

لقد ظلت بجانبه وهو في حالة الهذيان وفقدان الذاكرة. كيف أمكنه ان ينسى ذلك؟

- لقد أعطاك القس الأدوية، ولكن كان يلزمك شخص يظل بجوارك ليل نهار.

اشاحت بوجهها بعيدا عنه وهي تعلم أنها لا تستطيع أن تدخل في تفاصيل تلك المحنة الآن.

لقد كان من المؤلم للغاية بالنسبة لها أن تحكي ما عانته وما اضطرت إلى فعله.

لقد كان التعب قد هدها: فتركت نفسها تسقط على الفراش مرة ثانية وتغمض عينيها. لقد كان عذابا أن تشاطره نفس الحجرة بعد كل تلك

السنوات الطوال. إن قربه منها يعيدها إلى زمن كانت عواطفها نحوه وحشية وقوية وحلوة.

كانت قد وقعت صريعة حبه في الحال مثل فتاة مرعوبة تغرم بالرجل الذي يغامر بحياته من أجل إنقاذها.. ربما كان شغفها بالبطل المغوار! ولم تكن تعرف إن كان يحبها أم لا، ولا تستطيع أن تحكم على وضعها بالنسبة له ولم تجد أمامها سوى أن تفعل الشيء الوحيد في مثل هذه الحالة وهو أن تنتظر أن يعود إليها.

اجبرت نفسها على فتح عينيها مرة ثانية وتشابكت نظراتهما وتساءلت: كيف أمكن أن تكون ساذجة لهذه الدرجة؟ إنه لم يعد أبدا إليها ولم تكن لديه أبدا نية العودة. غمرتها موجة من المرارة وهي تحاول أن تطرد الذكريات من ذهنها.. إنها ذكريات مؤلمة. سألها:

- ما الذي تنتظرينه مني؟

- إجابات صادقة.

تحملت نظراته وهي تدعو الله ألا تعكس ما يدور بخلدها من أفكار.. هل يعرف من هي؟ ألا تذكره إذن بأي شيء؟

لم يكن هناك سوى إجابة صادقة على هذا السؤال، ولكن "شيز" ليست لديه اية نية في أن يقولها. أن تعرف كل تفاصيل مهمته وبعثته أمر جعله يهتز ويرتج، ولكن طالما لا يعرف بالضبط من هي؟ وماذا تريد؟ فلا مجال هنا لأن تقول له المزيد. إنه يتذكر انه افاق في مستشفى امريكي بعد الحادثة وكان مساعداه "جيوف دياز" و"جوني ستارهوك" وقد اعدا تقريرهما وذكرا فيه انه لم يعثر أبدا على جسد الفتاة والأثر الوحيد كان فردة حذاء وسط الأحراش.

لقد تبعته تلك الحادثة ربما لأنه لم يصل إلى تذكر ما هو سببها. ولكن الذي يطارده الآن ويلح على ذهنه هو حكاية الفتاة

إنه يعرف عنها الكثير من الأمور التي لم تستطع الفتاة أن تقرأ عنها في الصحف

انتزعه صوت تحطم كوب زجاجي من أفكاره، من الواضح أن "آني ويلز" هي التي أسقطته وهي تحاول أن تستخدمه. قال "شيز" -وهو يشعر بعدم ارتياح واضح-:

- هيا.. اهدئي! ساعطيك كوبا آخر.

بينما يملأ الكوب بالماء عبرت رأسه صورة ساحرة وغريبة.. فتاة صغيرة ذات شعر أحمر ورقيق تهمس في أذنه بكلام غير مفهوم. أوشك الكوب أن يفلت من بين أصابعه. قد تكون صورة أي امرأة ممن عبرن حياته على مر السنين.

عندما فتح صنبور الماء أحس ببرودة الفولاذ تسري بين مفاصل أصابعه.. تذكر صوت طلقة مسدس. قالت له "آني ويلز":

- لا تتحرك وإلا أطحت برأسك.

- ما الذي تفعلينه؟

قالت -بصوت منخفض- بلهجة تهديد:

- إنني امرأة يائسة يا سيد "بودين".. لقد مرت أسابيع وأنا أبحث عنك وقطعت آلاف الكيلومترات حتى أعثر عليك مرة ثانية..

إذن عليك أن تنصت إلي، وعندما أنتهي ستعطيني ما أريده.

وضع "شيز" كوب الماء ورفع يديه عاليا.

الفصل الثاني

كان السلاح معبأ وقال:

- حسنا.. أنا منصت إليك.. ماذا تريدين؟

- ليست لدي أي وسيلة لإثبات أنني أمريكية. وأنت الشخص الوحيد الذي يستطيع مساعدتي.

في تلك الساعة والظروف لم يكن لدى "شيز" أي رغبة في مناقشتها، ولكن لم تكن لديه أي فكرة عما تتحدث عنه. لابد أن الشمس أثرت على رأسها. إنه الآن واثق بذلك..

- ولماذا أنا بالذات؟

- لأن في جيبي قصاصة من الورق تقول إنك زوجي. ولا يوجد غير ذلك. وهي غير ذات قيمة مالم تؤكد أنت صحتها.

أراد "شيز" أن يستدير ولكن ماسورة المسدس كانت مصوبة نحوه. سألها:

WWW.REWITY.COM

- أية ورقة؟

- الشهادة التي أعطاها لنا القس.

- شهادة الزواج؟ إنها غير ذات قيمة.. لقد كنت غارقا في الهذيان، وأنت لم تكوني سوى صبية.

- لقد كان عندي وقتها ستة عشر عاما والسن القانونية التي تسمح للزواج في "كوستاريكا" هي أربعة عشر عاما. وإذا كان الزواج شرعيا هناك فهو كذلك هنا.

- شرعيا؟

أصبح الآن "شيز" مدركا تماما أن ماسورة المسدس موجهة إليه، مما أعطاه إحساسا بمعنى كلمة الزواج تحت تهديد السلاح.

سألها:

- هل أنت متأكدة؟

فزع وهو يسأل هذا السؤال.. إنه يتحدث وكأنه يصدق حكايتها!

اجتاحته موجة من الخوف وهو يفكر أنها ربما تقول الحقيقة البحتة.

لقد قالوا له: إن الفتاة ماتت وإنها لم تستطع أن تتبعه، ولكن على أية حال فإن هذه الفتاة - التي تلزمه بقوة السلاح على احترام كلامها- لديها مشكلة، ومشكلتها أصبحت الآن مشكلته هو.

- وهل لديك مستخرج رسمي لشهادة الميلاد؟

لقد كان يحاول أن يجد حلا آخر ردت عليه:

- ليس عندي هذا المستخرج ولا جواز السفر ولا بطاقة إثبات الهوية.

- لابد من وجود أي إثبات في مكان ما.

أراد أن يستدير نحوها ولكنها غرست السلاح في ظهره بعد أن كانت توجهه إلى رأسه من الخلف، إن الأمر بدأ يزداد سوءا.

قالت:

- كوني أصبحت مشردة بدون جنسية لم يعد له أية أهمية يا سيد "بودين" والنتيجة ها هي؟

لم يدهش "شيز" بأي درجة. إن مساعديه في وزارة الحربية الأمريكية المعروفة باسم "البنتاجون" لم يعثروا على أي أثر للفتاة التي لقيت حتفها أثناء مهمته الرسمية.

- ألا يوجد لك أسرة؟

- من ناحية أبي فإنهم جميعا ماتوا بالأمراض المتفشية في المناطق الاستوائية، أما من ناحية أمي فقد ذهبوا إلى جزر "الأنتيل" على ما أظن. ولم يعرف أحد على الإطلاق أين ذهبوا بالضبط. ولا أعرف أحدا غير ذلك.

- أنت تقولين: إن لديك دليلا. هل يمكنني أن أراه؟

أمرته قائلة:

- استدر.. ببطء ولا داعي للحركات المباغتة. ظل "شيز" رافعا ذراعيه في الهواء واستدار وهو يسوده شعور غريب:

أولا لم يحدث له أن أجبرته امرأة على احترامها بواسطة السلاح.

وثانيا فإن التجربة لم تكن سيئة على الإطلاق بل مثيرة حقا. خاصة والمرأة تبدو كملاك بريء غاضب بعض الشيء وكلها حرارة ولهب.

إن التغيير في ملامحها كان مثيرا ولافتا للانتباه. كانت تضيء كنيران معسكر مرح وسط ظلام الليل في الصيف.

قالت له -وهي تناوله المستند-:

- ها هو ذا، يمكنك أن تقرأه ولكن لا تأت بأي حركة.

كانت الورقة المجعدة مكتوبة بالإسبانية وتحمل توقيعين أحدهما توقيعه دون أدنى شك. وكان يعرف من الإسبانية ما يكفيه لأن يعرف أن

www.rewity.com مـر مـوريـة

ما بها حقيقي وإن ماقالته صادق.. إنها شهادة زواج سب "بودين" ولعن في نفسه. سألها:

- والآن ماذا تنوين أن تفعلي؟

لمعت نظراتها لحظة وفهم "شيز" الرسالة. إنه محاصر وهي تعرف ذلك. وإذا كان هناك ما يرعبه فهو ما فيه الآن. أجابها ونظراته تنتقل من السلاح إلى يدها:

- لا شيء نو قيمة الآن مادمت مصوبة سلاحك نحوي

كان وضعها مثيرا وأشعل نار الرغبة عنده وهو يتاملها، سألها:

- وهل تم تنفيذ عقد زواجنا؟

بدت لا تفهم وكانها مخلوق وقع من السماء.

- تنفيذه؟

- نعم تنفيذه.. هل انتقلنا من مرحلة العقد الرسمي إلى ممارسة الحياة الزوجية يا "اني"؟

تردد -وهو يراها تفتح عينيها على اتساعهما-:

- هل تزوجتك فعلا يا "اني"؟

بدا عليها الرعب. ثم انهت بان قالت ووجها أصبح أرجوانيا:

- نعم.

قال لها -وهو يحدجها بإمعان وتهكم-:

- واعتقد أن الزواج كان جميلا.. اليس كذلك؟ للأسف إنني لم أعد اتذكر التفاصيل.. هيا اخبريني.. هل كان جميلا؟

هزت رأسها علامة الإيجاب وهي تتجنب نظراته:

- لقد نسيت ذلك بمرور الوقت.

تحت تاثير الانفعال انزلق السلاح من بين يدها، ولم يتح لها الوقت لتسترد جاشها، وامسك برسغها بقوة، لم يكن يريد أن يؤلمها، ولكن لم

تكن لديه وسيلة اخرى غير ذلك.

قال لها -وهو يقربها منه-:

- هل تقولين لي: إنني تزوجت من فتاة في السادسة عشرة من عمرها وعشنا حياة الأزواج؟

كان يعرف الرد مسبقا، ولكنه أراد أن يسمعه من فمها الصغير الجميل والكذاب.

وجدت "اني" صعوبة في التنفس وقلبها يدق بلا انتظام، ووجدت جسدها يرتجف، بسبب لا تدري كنهه وكانها على وشك الانهيار والاستسلام، إنها تعرف أنه يحاول أن يخيفها ولكن لا يهمها ما يهدد بفعله. إنها لا تستطيع أن تخبره بالحقيقة. قال لها بصوت خشن واجش:

- ومتى مارسنا حياتنا الزوجية؟ أخبريني بكل شيء.. إنني أريد أن أتاكد من أنني كنت نعم الزوج.

- إن الأمر لم يحدث كما تتخيل.. لقد كنت مريضا وتهذي ولكن كان بيننا شيء قوي.. نعم، إنه لم يكن مجرد انجذاب.. لقد حدثتني عن احلامك بل حدثتني حتى عن هذا البيت عندما اخبرتني بإنك تنوي أن تستقر فيه.

قال "شيز" وهو لايزال مصدوما من الانفعال الذي جعل صوته منقطعا:

- إن الرجل يقول أشياء عندما يعاني من الهذيان.

كانت تشعر بالعاطفة الجامحة تغرقها: عاطفة من الغيظ الشديد منه؛ لأنه لا يريد أن يصدقها وألا يتذكر شيئا، وكان مظهرها كملاك وحشي يحرك مشاعره بطريقة لا يستطيع أن يحددها، وايقظت بداخله فضولا غريبا. وأحس برغبة عارمة نحوها لكنه تركها واستدار وهو

www.rewity.com مـــورتيـــة

يحاول أن يركز عينيه على عينيها.

سألها مرة ثانية -وهو مندهش من مدى اهتزازها تحت تاثير الانفعال والإثارة-:

- وما الذي جرى بيننا؟

- وهل ستصدقني؟

- اجيبي علي بكل شيء.

قالت -بصوت منخفض وكانها تبحث عن الكلمات-:

- كل شيء.. السماء والجحيم. لقد اوشكنا أن نموت انا وانت. لقد عرفنا معا اياما رهيبة ورائعة.

رد عليها:

- ولكنك لم تكوني إلا في السادسة عشرة من عمرك، إنني لم اكن استطيع أبدا أن..

- لا.. لم يكن لدي ستة عشر عاما.. عندما يعيش الإنسان في المنفى تحسب السنوات مضاعفة.

كان ثمة شيء مافي صوتها يحيره. استطردت:

- إنها ليست الفتاة التي انقذتك.

ولكن "شيز" كان يستمع إليها باذن شاردة، لقد كانت عيناها هما اللتين تحدثانه وكان حديثها ابلغ من اي كلام. لقد فهم في الحال أنها مستعدة لأن تفعل اي شيء وهذا يثبت مدى صدق كلامها.

إنها ملاك حقا في صورة جنية، وقد اشتعلت عيناها بلهيب غريب سألها:

- إذا كان حقا ما تقولينه من اننا تزوجنا فاثبتي لي ذلك واريني ماذا فعلنا.

غامت تعبيرات وجهها لحظات ولكن سرعان ماذهب تجهمها مثل

سحابة صيف. إنها تعاني مزيجا من الخوف والرغبة. إنه خليط متفجر. مرر "شيز" يده في شعرها الحريري.

لم يكن "شيز" يريد أن يتاثر هكذا بسرعة ولكن لم يسبق له أن رأى امراة في مثل سحرها وفتنتها.

هناك أمور يعرفها الرجل حتى ولو أن العقل ينصحه بان يظل حريصا وحذرا.. إنه لا يستطيع أن يقاوم، واحست هي بانفعالاته. وشكرت السماء لأن هذا ما كانت تنتظره حتى يساعده ذلك على التذكر.

استسلما لعاطفتهما وأخذ كل منهما يهمس باسم الآخر في حنان وحب. أخذ يسالها عم إذا كان هذا ما جرى بينهما بعد زواجهما الذي لا يتذكره. أضاءت عيناها ثم غاصتا ثانية وقالت عيناها "نعم ولا" في وقت واحد.. لقد بدا "شيز" يفقد سيطرته على الموقف. وسمع صوتا في اعماقه يقول له: أن يتماسك قبل فوات الأوان. أراد أن يتوقف عن اندفاعه العاطفي ولكنه لم يستطع قالت له بصوت مرتجف بطريقة غريبة:

- لابد انني أحلم.

إنها تتصرف كامراة تحب زوجها، وهي تتعلق به مثل المراة التي تتشبث برجل لم تره منذ وقت طويل، ولكن الصوت المنخفض في اعماقه اصبح عاليا الآن، ويقول له بإلحاح إنه يرتكب الآن أكبر غلطة في حياته. وسواء كانت "انى" تقول الحقيقة أم لا فإن ذلك لن يزيد الأمور إلا تعقيدا لو استسلم لعواطفه الجامحة نحوها.

إنها قد تفهم من ذلك أنه اعتراف منه بامر لايزال غير مقتنع به. قال لها في النهاية بصوت أجش:

- الا ترين يا "انى" أننا نتعجل الأمور؟

- كيف؟

WWW.REWITY.COM
مـــرمـــوريـــة

بدا عليها بعض خيبة الأمل وهي لا تعرف أي مسلك تتخذه:

- هل تعتقد هذا؟ يمكننا أن نمنح نفسينا بعض الوقت إذا كانت هذه رغبتك.

- إذا كانت هذه رغبتي؟

وجد "شيز" صعوبة في أن يمنع نفسه من الانفجار في الضحك وقال لها:

- انظري إلى نفسك.. إن وجهك أحمر شديد الاحمرار وانت ترتجفين من رأسك لقدميك.

- لا شك أن ذلك بسبب التعب.. لقد مر دهر منذ آخر مرة نمت فيها وأكلت.

هناك شيء ما لا يسير على مايرام ولكن ماهو؟ من الواضح تماما أنها مرعوبة ومنهكة وربما تموت جوعا، ومع ذلك يبدو عليها الرغبة الشديدة في أن يتبادلا الحب. قال -وهو يتراجع-:

- إنني لا أحس بانني بخير. ربما عضتني الحية دون أن أدري.

ردت عليه بصوت بدا جادا فجاة:

- أوه.. إن هذا يدهشني.. ربما كان ذلك بسبب الدورة الدموية وكل شيء سيعود إلى خير حال عندما يصل الأكسيجين جيدا إلى مخك.

ابتسم "شيز" ابتسامة مغتصبة وقال لها:

- أرجو المعذرة.

إنها السبب في اضطراب دورته الدموية سالها:

- وكيف لك أن تعرفي الدورة الدموية للرجال؟

جعل سؤاله "اني" تبتسم.. إنها تعتبره رجلا لا يقاوم.. إنه يشع رجولة وجاذبية يمكن أن تصرعا أي امراة عن بعد. أحست بأن كل الأمور الجميلة بدأت تعود.

سالها وهو يعبر الحجرة:

- هل أطمع في إجابات؟

- أوه... نعم.. لقد كان والداي طبيبين.. ألم أقل لك ذلك؟ وكانا يريدان مني أن أصبح مثلهما.

سالها "شيز" في دهشة:

- هل كنت ستصبحين طبيبة؟

كانت تحس بالدوار ولم تفهم سؤاله، ثم حلت ابتسامة محل مظهر الحزن الذي ساد وجهها:

- آه.. نعم.. لقد أراد والداي إرسالي إلى كلية الطب في الولايات المتحدة الأمريكية.. حتى يستمر التقليد المتبع في الأسرة.

لقد كان هذا هو حلمهما أكثر منه حلمي، وكان من المحتمل أن أكون قد أتممت دراستي الطبية لولا وفاتهما.

قال "شيز" بطريقة آلية:

- لابد أن ذلك كان قاسيا.

- ولكن هذا كان منذ خمس سنوات، وقد استطعت التغلب على ذلك.

أصدر لوح خشبي صريرا تحت قدمي "شيز" فخفضت "اني" صوتها بطريقة آلية.. إنه رد فعل طبيعي لما عانته ولا تستطيع التغلب عليه.

سالته وهي تريد أن تعرف لماذا ينظر إليها "شيز" بهذه الطريقة الغريبة:

- هل هناك شيء لا يسير على ما يرام؟

- لماذا تتكلمين بصوت منخفض؟

- إنها العادة على ما أظن، عندما يعيش الإنسان في الدير يتعلم أن يهمس، وأن ينتقل بخطوات الفهد.

- دير؟ في "كوستاريكا"؟

www.rewity.com

- لقد قضيت فيه خمس سنوات.

ولكن لماذا لم تذهبي إلى الولايات المتحدة؟

- لأسباب عديدة لا حصر لها.

فكرت فعلا أن تحكي له تاريخ حياتها المؤلم ثم قالت في نفسها: إن ذلك يمكن أن ينتظر، إنها لم تختر حياتها. قالت له:

- أنا لم أختر الذهاب إلى الدير في البداية، ثم أدركت أن ذلك هو ما احتاج إليه. لقد قمت بتعليم صغار الهنود القراءة والكتابة. وفي بلد غزته الحروب فإن معلوماتي الطبية كانت ذات فائدة.

قال "شيز" مؤكدا دهشته:

- في الدير؟ وفي سن صغيرة؟ ولكنك لم تكوني سوى صبية صغيرة. ما الذي يعلمونه للفتيات في مثل تلك الأماكن؟

اعترفت "اني":

- أولا أن أبقى على قيد الحياة، ولكن الأخت "ماريا أنوسنتشيا" - وهي الأم الكبرى- كانت متمسكة جدا بالطاعة والخضوع.

احمر وجهها قليلا وهي تقول في نفسها: إن هذا ليس ربما أول شيء عليها أن تبوح به، ولم يستطع "شيز" أن يمنع نفسه من الابتسام. لا شك أنه يحاول أن يهضم ما قالته. سألته:

- وانت؟ هل تربي الماشية؟

- لا على الإطلاق. إنما أقوم بتأمين سلامة المزارع.

لم يجد "شيز" أي سبب يمنعه من أن يخبرها بما يفعله في "وايومنج" بعد أن تأكد تماما من أنها ليست صحفية. وإذا كانت فعلا هي ما تقوله عن نفسها فإنه سيستفيد جدا من محادثتها عن مخاطر المهنة التي يمارسها. إنه لم يعرف أبدا امرأة مستعدة لأن تشارك حياة رجل يطارد لصوص الماشية.

استطرد قائلا:

- إنني أقضي وقتي في تتبع آثار الخارجين على القانون، الرجال الذين رصدت أموال من أجل رؤوسهم وهو ما يسمى "صائد الجوائز".

بدت عليها الدهشة الحقيقية وسألته:

- ألا يزال هناك لصوص مواش في "وايومنج"؟ وهل قبضت على الكثيرين منهم؟

رد عليها، وهو يرتدي قبعته مرة ثانية:

- بعضهم.

- هل انت ذاهب إلى مكان ما؟

هز "شيز" كتفيه:

- لقد قضيت أربعة أيام في التجول وأنا الآن تنقصني المؤونة، ولابد أن أقوم بجولة في المدينة.

- هل يمكنني الحضور معك؟

كانت تتحرق شوقا لأن تصحبه، واوشك "شيز" أن يجيبها بـ"نعم".

- لا. ليس هذا من العقل والصواب. إن أهل البلد فضوليون فعلا وهذا سينشر الاقاويل وماذا لو أخذت حماما؟

- حماما؟ إن هذا سيكون الفردوس!

تخيلها "شيز" وهي تحت الحمام قال لها:

- هيا خذي الحمام ويمكنك أن تخلعي ملابسك في الحمام.

نظرت إليه في دهشة وهلع وقالت:

- ولكن لماذا اخلع ملابسي.. لقد كنت آخذ حماما في الدير بملابس كاملة.

نظر إليها وكأنها مخلوق من عالم آخر. وأخيرا هز كتفيه بلا اكتراث وقال لها:

- افعلي ما تشائين

سالته -وهي مرتعبة ونظرت إليه وكانها تنظر إلى مختل نفسيا أو مغتصب:

- وماذا ستفعل؟

- لا شيء مما تتصورينه.. كل ما أريده هو أن اتاكد من أن أجدك هنا عندما أعود.

- إنني لن اتحرك من مكاني.. إنني أعدك بذلك.

لم يكن "شيز" من النوع الذي يكتفي بالقليل. و"اني" اثبتت انها من النوع المليء بالمفاجات غير المتوقعة.

لم يكن لديه اي رغبة في أن يراها تفلت من بين أصابعه طالما لا يعرف بالضبط من هي.

إنه يتصور مقدما عناوين الصحف الكبيرة لو أن أسماك القرش هذه نشبت أسنانها فيه. حتى النشرات المحلية ستجد لها فرصة لتصول وتجول. تخيل عناوين مثل "بطل البنتاجون" السابق يخفي المرأة الطفلة. منذ مغامراته في "أمريكا" الوسطى لم تكف الصحف الصفراء ومجلات الفضائح عن مطاردته. وليس لديه اية نية في أن يكون طعما سهلا لها. هكذا قالت له بصوت مخنوق وكانها تهمس وسط القداس في الدير:

- "شيز"! لدي فكرة.. ماذا لو اتصلت بشركائك القدامى؟ إنهم سيقولون لك من أنا. شركائه؟ إنها تقصد "چوني" و"چيوف".

- كيف تعرفينهم؟

لمعت عيناها الزرقاوان.. لقد عثرت على الحل لكل مشاكلهما. قالت:

- لقد التقينا بهما في الطريق إلى الجبهة.. الا تتذكر؟ لقد كان ذلك في الخطة. لقد عثروا على العلماء وانت والفتاة. واتذكر حتى إن

"چوني" كان يمزح. لقد قال "إنك أنت الذي قمت باحسن عمل

تساءل "شيز" لماذا لم يفكر في ذلك من قبل إنه لا يتذكر موعد اللقاء. ولكنهما أتيا لزيارته في المستشفى. ومع ذلك لم يستطيعا أن يعثرا على اي أثر للفتاة.

إن العملية كلها تركت في حلقه مرارة العلقم ودفعته للتقاعد والانسحاب.

لقد حنق عليه شركاؤه ولم يرهم منذ أربع سنوات أيا كان الأمر فإنه سيتاكد. تذكر قائمة الفضائل التي ذكرتها الفتاة ومن بينها الطاعة والخضوع.. قال لها:

- هيا يا آنسة.. اخلعي ملابسك وخذي حمامك ولا تضطريني إلى أن أقوم بخلعها بدلا منك.

الفصل الثالث

- هيا افعلها إذن! ما الذي تنتظره؟ لا تظن على اية حال انني سأخلع ملابسي تحت التهديد؟ لن افعلها لك أو لأي رجل آخر.

كانت تتحدث برباطة جاش وهي واثقة بعملها، ولكنها سرعان مالاحظت احتقاره إنها لم تكن قد حسبت رد فعله هذا. كانت نظرته التي اشتبكت مع نظرتها كفيلة بأن تجعل الميت يرتجف. بدت عيناه فاحمتا السواد اكثر لهيبا حارقا من نار جهنم. قال

- انت لم تفهمي ما قلته يا ذات الشعر الأحمر. انا لم أترك لك حرية الخيار. إما ان تنفذي او اقوم انا بالتنفيذ.

نظرت إليه دون ان يطرف لها رمش. ثم قالت -وهي ترفع يديها-:

- هيا مزقني إربا. ولتنته من هذا العذاب.

- هل انت واثقة بما تقولين؟ هل تريدين حقا أن تموتي؟

وجهت له نظرة يستطيع أي راعي بقر ان يفهمها.

- هل تأملين ان تتلقي البركات الأخيرة؟ انا لست قسا، ولكني أستطيع ان افعل شيئا.. ان ارشك بالماء او اي شيء ما..

احست "اني" بالارتياح من لهجته الساخرة، على الاقل لم يمزقها كما طلبت. قالت وهي تخفض يديها في هدوء:

- إنني أستغني عن البركات الأخيرة، فلست كاثوليكية.

قال لها آمرا:

- "اني"! هل ستنزعين تلك الملابس اللعينة؟ نعم أم عليك اللعنة؟

- لا.. ولا تحت تهديد المسدس!

فهمت انه ليس من السهل ان تثني "شيز بودين" ولم يضايقها أن يتمادى الرجل في إصراره إلى أقصى الحدود. انتهى بها الأمر إلى أن قالت له:

- حسنا.. لقد انتصرت على مبادئي ولكن لا جدوى على الإطلاق من أن أصر على التمسك برأيي وإلا أين استطيع أن اذهب بعد ان قطعت آلاف الأميال حتى اقابلك؟

بدأت في خلع حذاء التنس والبنطلون الجينز، ثم سألته . وهي تشير إلى الباب:

- هل يمكن ان تخرج؟ مادمت ستذهب على اية حال فإنني سأناولك ملابسي من وراء الباب عندما انتهي.

دهش "شيز" عندما وجد نفسه يعبر الباب، اللعنه عليها. كم هي متسلطة وآمرة! من بين كل الفضائل التي حاولوا ان يعلموها له كانت الطاعة آخر ما يمكنه ان يفعلها. نظر إليها وهي تفك حزام البنطلون

www.rewity.com

إن هذه اللعينة لها طريقة خاصة تجعله يخرج عن شعوره. قال لها في تهكم:

- هل تحبين أن أساعدك؟

تجاهلته وأخذت تواصل عملية خلع ملابسها، ولم يجد أمامه سوى أن ينتظر خلف الباب حتى تعطيه ملابسها، وعندما تأخرت صاح فيها في غضب:

- يجب أن أذهب.. فلم أعد أطيق الانتظار.

نظرت "آني" في ذهول إلى الباب الذي صفقه بعنف قبل أن يرحل. كانت تتحرق فضولا لتعرف أين سيذهب.. ثم لماذا هذا الغضب المفاجئ؟ هل كان يخشى أن يغرق ويرتكب حماقة تهز من صورته في عينيها؟ هل هذا ممكن؟ ثم ما هذا التغيير المفاجئ في مسلكه؟ ما هي مشكلة هذا الرجل؟ النساء؟ أم "آني ويلز"؟ أم كلتيهما؟

أخذ "شيز" في الخارج يتنفس في صعوبة.. إن مشكلته الآن أن يجد الأكسجين الكافي ليعود إلى صوابه.

عاد وطرق الباب بعنف:

- إنني لازلت في انتظار ملابسك حتى أنشرها لتجف.

قالت له وهي تناوله الملابس:

- لقد فعلت ما تريد.. هل أنت راض؟

راض؟ إنها ليست الكلمة المناسبة لحالته.

نادت "آني":

- تعال هنا يا "شادو"!

منذ أن غادر صاحب الكلب المنزل لم يترك مكانه أمام الباب. نظر

إليها كلب الرعي الاسكتلندي من نوع "كولي" نظرة متعبة وغير راضية وكأنه يحملها المسؤولية عن رحيل سيده، وربما لأسباب أخرى.

شملت "آني" الغرفة بنظراتها، كانت حجرة فقيرة وعارية جعلت الرجفة تسري في أعضائها، لم يكن على الجدار سوى بندقيتين معلقتين. لا يوجد لوحات ولا ستائر على النوافذ ولا لمسة ألوان تعطي بهجة للمكان.

لقد كان التقشف باديا على المكان وكأنه دير أو مكان عبادة لناسك.

لسبب ما اختار "شادو" تلك اللحظة حتى يترك موقعه. وعندما عبرت الحجرة لتفحص ركن المطبخ عن قرب سار الكلب بجوارها خطوة خطوة، وأحست بأنفاسه تصطدم بقدميها الحافيتين، تركته "آني" يتبعها وبدا الكلب راضيا عن ذلك.وعندما ذهبت لتفحص أدوات المطبخ المعدنية أخذ الكلب يحتك بها وكأنه يحاول جذب انتباهها قالت له -وهي تحك له رأسه:

- إنك ظريف أيها الكلب.

مالت عليه لتداعبه واجتاحتها موجة من العواطف والانفعالات عندما بدأ الكلب يلعق وجهها، هذه أول مرة يظهر لها أحد بعض الحرارة والحفاوة منذ أن بدأت رحلتها الطويلة. كم هو رائع أن تجد مخلوقا حيا بجوارها!، إنها تحس بأنها في بيتها، أو هذا على الأقل ما تخيلته لأنها في الحقيقة لم تعش حياة عادية.

تمنت فقط لو أن هذا البيت أقل برودة مما هو عليه وأقل تقشفا. إنه ليس على الإطلاق المنزل الذي تخيلته، لقد تصورته في صورة شاليه صغير، وظريف، وبه ستائر على النوافذ، وبالتأكيد تصورت نفسها

www.rewity.com

واقفة في المطبخ تعد إفطارا شهيا ودسما. ثم ماذا عن رجل البيت؟ هل هو حبيبها راعي البقر؟ تصورته وصدره عار يقطع الخشب من أجل نيران المدفأة.

توقع الكلب مداعباتها. وقالت له في حزن وكأنها تتقبل منه العزاء في مصاب جلل:

- شكرا.. أخشى ألا يتذكرني سيدك إذ إنه ليست لديه الرغبة في ذلك.

أحست بموجة من الخوف تغمرها، وجذبت الكلب الاسكتلندي نحوها. تساءلت في رعب ماذا سيكون الحال فيما لو رفض "شيز" مساعدتها؟ إنها ستجد نفسها مقيدة اليدين والقدمين تحت رحمة رجال الهجرة..

ولقد سمعت الكثير حول هذا الموضوع. سرت رجفة كالثلج في جسدها.. إنهم سيعيدونها إلى "كوستاريكا" هل هذا ما سيحدث لها بعد السنوات الخمس الأخيرة التي كانت عبارة عن كابوس مستمر؟

أحست بعظامها مثلجة حتى النخاع، لفت نفسها في بطانية.. كم من الوقت مضى بدون أن تتناول شيئا من الطعام؟، ربما بضعة أيام. إنها بدأت تفقد إحساسها بالوقت والأشياء بدأت تختلط في ذهنها وتزداد غموضا وكأنها وسط غمامة، ثم أمامها نوم عميق وطويل لابد أن تعوض به سهر الأيام والليالي.. إنها منهكة، ولكن لا مجال أمامها لأن تستسلم، ما دامت لم تعثر بعد على حل لمشكلتها. قالت تسأل نفسها -بينما أخذ الكلب مكانه بجوارها-:

- ما الذي سأفعله؟

نظر إليها الكلب بعينين بنيتين واسعتين مليئتين بالتعاطف والحزن على اليأس الذي غمرها وأغرقها ثم أراح رأسه على ركبتها.

التعاطف؟ إن تلك الكلمة جعلتها ترتجف حتى أعماق أعماق نفسها، وجسدها، وكأن الكلمة أرسلت إليها بواسطة تدخل سماوي غامض.

أخذت تردد بصوت عال:

- إنها نهاية الزمان!

وفجأة عرفت ما الذي عليها أن تفعله، إنها تعرف.. قالت لـ"شادو" وابتسامة واسعة تعلو شفتيها:

- شكرا.. أنت تعرف كذلك يا "شادو".. أليس كذلك؟ أنت تفهم؟ ساقوم بإغراء سيدك. ولا يوجد حل آخر.

أخذ قلبها يدق بسرعة مضاعفة داخل صدرها وهي تدرس السؤال من جميع نواحيه. أن تغوي "شيز بودين"؟ ولكن كيف تفعل ذلك؟ وهل توجد امرأة في العالم قادرة على إخضاع ذلك الرجل المصنوع من الفولاذ؟ هل تستطيع أن تجعل نفسها مرغوبة لدرجة إخضاعه؟ ربما تعتبر رغبتها هذه حقيقة وواقعا، ولكن بداخلها شيء ما يؤمن بانها لو أغوت "شيز" فستعود إليه الذاكرة. عندئذ لن يدعي أنها ليست ذات أهمية لديه.. أليس كذلك؟ إنه لن يستطيع وقتها أن يدعي أنها غير موجودة. قالت في نفسها: إن ذلك لن يكون هينا، كيف يمكنها أن تغوي رجلا لا يريد أن يقيم معها في بيت واحد؟

رغم تحفظ "شيز" الواضح هي لا تعرف شيئا عن الإغواء، ومحاولة إجباره على الاعتراف بالزواج بها، إنها لا تعرف شيئا عن الرجال! لا شيء على الإطلاق. فهي في الوقت الذي كانت الفتيات الشابات يتلقين

مغازلاتهن الأولى كانت تقوم بتعليم القراءة والكتابة لصغار الهنود الحمر في الدير، وإذا كانت قد أحست بانها أثارت "شيز" أثناء عملية إجبارها على خلع ملابسها فإن ذلك كان مجرد مصادفة سعيدة، إنها لا تعرف كيف تفعل مالم يساعدها الرجل على اتخاذ الخطوات اللازمة والمناسبة، ومن الواضح الجلي أن "شيز" مصمم على عدم اتخاذ أي خطوة في هذا الشان.

تذكرت قول الأم الكبرى في الدير في "كوستاريكا":

- يجب أن تعرفي كيف تنتقلين إلى الفعل إذا رغبت في تحقيق أهدافك.

فتحت "اني" فجاة عينيها على اتساعهما.. لقد تحدث "شيز" عن الحمام.. اليس كذلك؟ وجدت ما كانت تبحث عنه في حمام ضيق، لا يزيد حجمه عن دولاب ملابس، إنه ليس ما كانت تامله وتهفو إليه، ولكن هذا لم يحبطها ويمنعها من أن تقوم ببعض الزينة.

قالت في نفسها. وهي تدعك جسدها بقوة حتى تشعر ببعض الحرارة حيث كان الماء باردا. حتى بعد كل تلك السنوات من الحياة الجافة داخل الدير في معاناة ومحنة وحرمان، أحست ببعض الذنب عندما وجدت سعادة في أخذها حماما. تساءلت وهي تتامل مدى بساطة ملابسها وخلوها من أي تطريز أو أي قطعة حريرية هل الفضيلة هي أحسن مكافاة لها حقا ؟ اخذت تدعك شعرها بقوة.. تساءلت أيضا أي فرصة أمام امراة زرية الملابس مثلها في إغواء رجل عنيد مثل "شيز بودين"؟

انتهز "شيز" فرصة مروره بالمدينة: ليحاول الانضمام إلى رفاقه

القدامى، ولكن دون جدوى لقد كان "جوني" يشهد أمام المحكمة الاستئنافية، بينما رحل "جيوف" في مهمة سرية للغاية إلى مكان مافي الشرق الأقصى.

ترك لهما "شيز" رسالتين عاجلتين، بل إنه استخدم شفرة قديمة خاصة حتى يجعلهما يفهمان أن هناك امرا عاجلا، امرا عليه تعتمد حياته. ربما لن يستسيغا طريقته وتكتيكاته عندما يعرفان نهاية الأمر، ولكن عليهما اللعنة، فإن حياته هي التي تتعرض للخطر!

هناك امراة تقيم تحت سقف بيته وتدعي لها حقوقا زوجية عليه وعلى بيته وحياته! إن هذا الوضع لا يسعده على الإطلاق، ثم إنه لا يحب تلك الرغبة التي تدفعه إلى محاولة أن يعود إليها بسرعة. في الحقيقة لم تكن "اني" هي التي يتحرق شوقا للقائها، إنها ليست المراة التي وضعته في هذا الوضع المثير والمضطرب، وإنما كل تلك المجموعة من الانفعالات والعواطف التي أحضرتها معها. إنها تمثل تهديدا لنمط حياته ولسلام روحه.

لابد أن يمسك بزمام الأمور بين يديه. استعاد -للحظات- المنظر الذي شاهده قبل أن يغادر البيت.

ياله من أحمق شرير! قال في نفسه: إنه لا يجب أن يخدع نفسه، فهو فعلا يتحرق شوقا لأن يعود إليها، ويراها.

لم ينتبه إلى جمال السماء الأرجوانية واستدار وحمل أكياس المؤونة، وعندما عبر عتبة الباب اعتقد انه مستعد لتلقي أي مفاجاة، تخيلها نائمة على السرير وقد تكومت مثل الهرة الصغيرة، أو طارت هاربة ومعها كل ثروته، أو ربما توجه نحوه ماسورة مسدسها،

ولكن لم يخطر على باله أن يجدها لاتزال في الحمام.

وقف "شيز" مذهولا تحت تاثير الصدمة، إن العواطف التي اثارتها فيه كانت مزيجا من البراءة والمكر.. أعادته إلى فترة سن المراهقة بما فيها من ممنوعات.. كان يسعى دائما للحصول عليها مثله مثل أترابه، وتذكر الأفلام والصور التي كان يشاهدها خلسة مع رفاقه في مخزن الغلال أو أسفل الدرج، أخذ يعنف نفسه: عليك أن تتعقل يا راعي البقر! قبل أن تسقط أكياس المؤونة من بين يديك!

وضع أكياس البقالة والتموين على مائدة البوفيه ثم سالها من وراء باب الحمام:

- "أني".. ولكن أخبريني ماذا يجري؟

ردت عليه وهي ترتدي ملابسها الداخلية التي لم تعطها له لينشرها حتى تجف:

- إنني آخذ حماما.

عندما خرجت من الحمام وعليها القليل من الملابس ذهل من التباين الواضح بين بشرتها العاجية بلون اللبن واحمرار شعرها الطويل، أسعده الحظ وتمالك نفسه حتى لا ياتي بعمل يندم عليه فيما بعد.

لقد أحس بنبضه يتسارع والدماء تندفع داخل شرايينه بعنف وهو يراقبها، إنها جنية البحر التي طالما قرأ عنها في طفولته، والتي تظهر لتخطف الرجال وتذهب بهم إلى أعماق البحر.

كانت الشابة واقفة عند نهاية الحجرة، وكان من الواضح أنها لا تشعر بالخجل، أو الضيق من مفاجاته لها وهي في تلك الحالة التي لم يسبق أن وجدت نفسها فيها أيام الدير، ومابعد الدير. ومع ذلك إذا

كان ما قالته عن الحياة في الدير صحيحا فلابد أنها لم تشاهد رجالا كثيرين، بل إنها لم يكن لها الحق في أن تاخذ حماما وهي عارية.

هكذا علمتها الأخوات الصالحات. فالجسد عورة وخطيئة يجب أن تسترها وألا تعرضها للرؤية حتى لنفسها. قال لها بلهجة جافة:

- جففي نفسك، وارتدي بقية ملابسك.

قالت له في هدوء:

- ولكن ليس لدي ما ارتديه.. لقد انتزعت مني ملابسي.

خلع "شيز" قميصه وناوله لها وقال لها:

- ليس أمامك سوى أن ترتدي هذا القميص وساقوم بترتيب المؤونة والتموين.

تركت القميص يسقط عند قدميها، وحدجته طويلا دون أن تاتي باي حركة لتستعيده قالت له بصوت مرتجف ورقيق:

- لدي فكرة افضل.. لماذا لا نرتب تلك الأشياء معا؟...

www.rewity.com

الفصل الرابع

ظل "شيز" مسمرا في مكانه. لقد سمع جيدا ولكنه لم يستطع أن يصدق ما يسمعه. ومع ذلك فإن وميض الخوف الذي لمحه في عينيها ربما كان من الإثارة. لو كانت بيده حرية الاختيار، لتوقف في مكانه. ولكن الأوان فات..

بدأ توتره يتصاعد وعضلاته تؤلمه، وسرت رجفة غريبة في ساقيه وهي تحدجه بإمعان. قال لها -وهو غاضب منها-:

- ارتدي هذا القميص يا آنسة!

ولكنها عارضته، وهزت رأسها علامة النفي في مظهر طفل مفزوع وليس امرأة تريد أن تغويه. أمسك "شيز" بغطاء السرير وغطاها به سالته -وقد لمعت الدموع في عينيها-:

- ألا أعجبك؟ ألا أثير إعجابك؟ هل أنا نحيفة للغاية؟

- ولكن، لا يا "آني". أنت جيدة جدا.. ربما نحيفة بعض الشيء ولكن ليست هذه هي المشكلة. شم رائحة شعرها المبتل وبشرتها النضرة، أراد "شيز" أن يتراجع بعيدا عنها بعد أن غطاها بغطاء السرير ولكن الأوان فات. سألها وصوته جاف من الانفعال:

- هل تريدين حقا أن تساعديني في ترتيب المؤونة وأنت شبه عارية يا "آني ويلز"؟ هل فكرت جيدا في العواقب؟ وهل هذا حقا ما تريدينه؟

همهمت "آني" وهي تحاول الالتصاق به وكأنها تبحث عن حنانه وتعاطفه:

- نعم.. نعم هذا هو ما أريده.

لاحظ "شيز" في عينيها نظرات الانبهار، همهمت ببضع كلمات لا معنى لها وأغمضت عينيها وأوشكت أن تنهار. أمسك بها حتى لا تسقط وسألها في قلق:

- "آني"؟ ماذا هناك؟

تأوهت وساعدها على الوقوف على قدميها، إنه يتذكر ردود أفعال النساء العديدات، بل إنه أحيانا تلقى الصفعات عندما حاول مغازلة بعضهن ولكن لم يحدث أبدا أن أغمي على امرأة بين ذراعيه. ما الذي يحدث لهذه المرأة؟ إن وجهها شاحب لدرجة مقلقة، كرر عليها السؤال:

- ما الذي يجري يا "آني"؟

- لا شيء.. إنه تفاعل كيميائي للدماء.. إنه انخفاض في نسبة الجلوكوز. لأنني جائعة.

لم يشك في كلماتها، ولكنه لم يقتنع بمسألة إغمائها ولديه الطريقة

www.rewity.com

للتأكد سألها:

- هل تستطيعين أن تظلي واقفة؟

فتحت عينيها الواسعتين الزرقاوين الحالمتين وهزت رأسها بالموافقة ولكنه ما إن تركها حتى انهارت. إذن هي لا تغشه ولم تخدعه، مدت ذراعها نحوه وبدت هشة ومنهكة تماما وقد تراخت عضلاتها مثل عروسة قديمة أهملتها طفلة بعد أن ملتها.

الغريب والمثير للدهشة حقا أن رقة تقاطيعها فضلا عن طبيعتها الغريبة قد أثرت فيه تماما وقلبت كيانه رأسا على عقب. فجأة قال بصوت منخفض وقاس:

- أوه يا آنسة "أني"! من أين أتت تلك العاطفة التي ستتسبب في هلاكنا نحن الاثنان؟ بعد ذلك ركع بجوارها ثم حملها إلى السرير.

- أنت في حاجة إلى أكل كسرة من الخبز يا آنسة! منذ متى تناولت وجبة طعام يمكن أن تسمى وجبة حقا؟

ولكن "أني" لم تكن لديها القوة لتجيب على سؤاله، إنها بصعوبة تحاول أن تبقي عينيها مفتوحتين؛ وبالتالي لم يكن هناك أي أمل في أن تحقق خطتها لإغوائه. إذن لقد جاء اليوم المحتوم" قال لها:

- هذا قميص جديد وليس أمامك سوى أن ترتديه بعد أن تستردي بعض قواك.

رأت في عينيه أن عدم الثقة، والريبة قد حل محلهما شيء ما يمكن أن تصفه بأنه حنان. لقد بدا أكثر ودا وصداقة.

قالت بصوت مخنوق:

- "شيز"! "شيز"! أنا آسفة. لم أكن أدري أنني سأتسبب لك كل هذه

المشاكل.

اجتاحتها رغبة حارقة في أن تبكي وفي الحال أغمضت عينيها ثانية.

بعد لحظات أحضر "شيز" طبقين، وشريحة خبز. نهضت في خطوات غير ثابتة، وراقبت في ارتياح القميص الذي كانت ترتديه، والذي أعطاه لها "شيز".. كان طويلا لدرجة أنه يصلح كثوب قصير وقد وصلت حوافه حتى ركبتيها تقريبا، سألته وهي تجلس أمامه:

- ما هذا؟

- هذا "كورندبيف" محفوظ.. آسف ليس عندي أكثر من ذلك. ولم أكن واسع الخيال عندما أحضرت المؤونة.

قالت "أني".. وهي تهجم على الطعام:

- ولكن هذه وليمة حقا! وعندما قضت على مافي طبقها رفعت عينيها، ورأت "شيز" لم يمس طعامه الموجود أمامه، كان ينظر إليها في عدم تصديق وانبهار.

سألته:

- ألست جائعا؟

كان كل رده أن ناولها طبقه. وبينما كانت "أني" تفترس نصيبه من الطعام أحست بأن عينيه لم يرفعهما عنها. ووانتها فكرة أن الأخوات الصالحات في الدير لم يكن ليرضين عن سلوكها لو رأينها. ولكن ليس عندها وقت تضيعه أمام الطعام. إن الحياة الزوجية شيء رائع حقا!

سألها:

- هل أكلت كفايتك؟

www.rewity.com

دهشت "آني" من نبرة صوته، واستشفت من ذلك انه يقول لها كلمات حب بصوته الحنون الرجولي، وإن اقتصر غزله على الاهتمام بالتأكد من أنها شبعت من الطعام. إنها تحس الآن بانه يسيطر عليها بحنانه، إنه يمتلكها كلية! قالت له وهي تجول بنظراتها على عضلات صدره البارزة وذراعيه المفتولين:

- إنني أعتبرك مليحا ومثيرا.

قالت في نفسها إنه كان من الواجب عليها أن تحمر خجلا لجراتها في الحديث إليه عن رجولته، ولكن ما فعلته هو امر طبيعي أمام رجل في مثل ملاحته، ورجولته، وقوته. ربما كان هذا ما يجب أن تفعله المراة التي تريد إغواء الرجل، ولكنها وقد لاحظت قوته البدنية لم تعد ترغب في رفع عينيها عنه حتى لو حاولت، وقد بهرتها قوة عضلاته ولون بشرته الذهبية.

أخذ قلبها يدق بلا انتظام وهي لا تدري ما هو السبب بالضبط. لقد تربت وسط الهنود الحمر وتعودت على رؤية أجساد الرجال شبه العارية والتي عادة ما كانت قوية ومتينة. وإذا كان "شيز" مليحا فإنه مثلهم. وهي حقيقة لا يمكن أن تنكرها.

سألها "شيز" مرة ثانية وقد شعر بالتسلية وهو يراها تلتهمه بعينيها:

- هل أنت متاكدة من أنك أكلت جيدا؟ إنني عندما رايتك تلتهمين كمية مضاعفة من الطعام خشيت أن تهجمي علي وتلتهميني أيضا.

احمر وجه "آني" خجلا وقالت في رقة:

- ما الذي تقصده يا "شيز يودين". هل تحاول مغازلتي؟

منذ أن التقى بها وهو لا يكف عن مغازلتها في محاولة لتعويض السنوات الخمس الضائعة. أجابها بصوت مخنوق يحمل الكثير من المعاني:

- أعتقد أننا تجاوزنا مرحلة الغزل.

تساءل: أي رجل قوي يمكنه أن يقاوم امرأة تجلس أمامه ولا ترتدي سوى قميصه الخشن؟ سألته في عصبية:

- هل اجتزنا مرحلة الغزل؟ إذن أين نحن الآن؟

- لست أدري.. ربما انتقلنا من الكلام إلى الفعل؟

- من الكلام إلى الفعل؟

حدجته لحظة لا تتجاوز ثواني ثم ارتفعت كتفاها وهي تتنفس بصعوبة.. سألته:

- ماذا تقصد أن تقول بالضبط؟

- هل تريدين معرفة الحقيقة؟

ترددت لحظة ثم أومات برأسها موافقة، فقال:

- منذ جلست أمامي وأنا لا أكف عن التفكير فيك.

وجد مسرة بالغة وهو يرى وجهها يحمر خجلا، إنه يتصور تماما المشهد الذي جرى بينهما منذ خمس سنوات بعد زواجهما الإجباري..

بدأ يفقد رأسه ولكن الذي كان يذهله فعلا من رد فعله أمامها هو فقدانه التام لإرادته الصلبة.

إنه لم يكن في العادة يجد أي صعوبة في السيطرة على نفسه أمام النساء. وكان أثناء عمله في المهام السرية الخاصة بوزارة الدفاع الأمريكية يقضي أوقاتا طويلة دون مغامرات عاطفية؛ لانه كان يرى

أنها تحمل المشاكل أكثر من المتعة ولكنه معها يجد نفسه عاجزا عن كبح جماحه. سالته في دهشة:

- انت تفكر في وانا جالسة هنا امامك؟

- إنني افكر في أشياء يمكن أن تحملك إلى السماء يا "آني".. في مباهج يمكن أن تجعلك تموتين ببطء.

- اموت؟ وانا امامك بجوار المائدة؟

رفعت يدها إلى جبينها وكانها تحاول أن تتخيل ما الذي يقصده بكلامه الغامض.

اخذ "شيز" يتفحصها ببطء وإمعان ثم قال:

- إن الأمر غريب تماما مثل كلامي فلا تهتمي.

اخذت تنظر في عينيه مباشرة، ولكنها وجدت صعوبة في العثور على كلمات تقولها:

- لا.. بل نعم. إن الأمر غريب فعلا..

وجدها ضعيفة وهشه، واجتاحته مشاعر الحنان التي لم يسبق أن احسها مع أية امراة أخرى، ولكن الذي ادهشه جدا كثرة نزواتها وتقلبات مزاجها، الأمر الذي جعل الغضب والاندهاش يتصارعان بداخله.

تململ في مكانه ثم ركل المقعد المجاور له، نظرت إليه في قلق وقد اتسعت عيناها..

لاشك أن كلامه المبهم جعلها تشعر بالصدمة، بل ربما بالخوف، ولكنه تساءل عمن يمكن أن يكون قد أرسل إليه هذه الفتاة حتى تثير الاضطراب في حياته؟

أعاد المقعد إلى وضعه بعد أن شعر بالاشمئزاز من نفسه لهذا الانفعال الذي لا معنى له.. لقد شعر بالغضب من نفسه لما فعله مع المقعد، وغاضب منها لأنها جعلته في هذه الحالة.

اللعنة عليها.. إنها على استعداد للتضحية باي شيء، هل هذا لأنها تريد الحصول على الجنسية الأمريكية كما تقول؟ سالته:

- ولكن ما الذي فعلته؟ أليس هناك ما هو أفضل أن تفعله بدلا من العراك مع الأثاث؟

اتجه نحو الباب.. إنه في حاجة إلى الهواء.. ثم هناك العمل الذي يجب أن يقوم به بدلا من هذه التصرفات الطائشة.. ولكن لم يكن أمامه سوى أن يلوم نفسه.. إن كل ذلك بسبب غلطته ومعرفته هذه الحقيقة لم تخفف من ثورة غضبه.

استدار.. ثم تسمر في مكانه أمام الألم والعذاب اللذين قرأهما في عينيها. فجاة فهم؛ فهم أنه من الضروري عندها أن تبقى على قيد الحياة وسط الظروف القاسية التي تحيط بها.. لقد صرعت، وإذا كانت قد انهزمت فإنها لم تكف عن المقاومة.. لقد أثبتت أنها تتمتع بمقاومة رهيبة تثير الإعجاب، لقد كانت قوية.. إنها أقوى منه بمراحل.

ولكن لماذا تنظر إليه بهذه الطريقة؟ يا إلهي! إنه الأمل! رغم كل شيء فإنها مستمرة في أن تضع أملها عليه.

وفجاة فهم ما يجب عليه أن يفعله.. ولكنه أمر شديد القسوة بدرجة لا تصدق. لابد أن يميت تلك العاطفة والمشاعر التي يقرؤها في عينيها، وإلا فلن يستطيع أن يتحرر من خناقها. قال وهو يحاول أن يضفي القسوة على صوته:

- ليس عندي سوى أمر واحد أقوله لك يا "آني". لست الفارس ذا الجواد الأبيض الذي تحلمين به بعينيك الجميلتين الزرقاوين، ولست أعمى لدرجة لا تجعلني لا أرى الأشياء التي تنتظرينها مني، ولكني لست الرجل الذي يمكن أن يمنحك ما تريدين، لست البطل الذي تحلمين به، ويجب عليك أن تعرفي ذلك.

أنا سيئ التربية والخلق، وينقصني السلوك الحسن خاصة مع النساء. عندما أرغب في شيء فإنني أحصل عليه، لذلك لا تطلبي مني الكثير، فإنك يمكن أن تصابي بخيبة الأمل.

امتلأ فم "آني" بمرارة العلقم وهي تنصت إليه، وتحدجه. كيف تصور أنها اعتبرته الفارس ذا الجواد الأبيض، الذي جاء ليسعدها وينقذها؟ ثم من أين تولدت لديه تلك الرغبة في إيلامها وجرحها؟ لقد أحست بالحنق على نفسها؛ لأنها ظنته قويا ورقيقا في آن واحد.

إن هذا المدعو "شيز بودين" لا يمكن أبدا أن يكون رجل أحلامها، إن روحه سوداء مثل عينيه.

أدار لها ظهره. إن القوة الهائلة التي تنبعث من كتفيه القويتين كافية لأن تهزم أكثر الناس عنادا، ولكن "آني" لا يمكن أن تسمح لنفسها بأن تتأثر بذلك، ثم ليس عندها ما يمكن أن تخسره.

قالت فجأة:

- سأرحل.. أليس هذا ما ترغبه؟

- لا يا "آني".. ليس هذا ما أريده. أريد أولا أن أزيل غموض المشكلة الخاصة بالحالة الاجتماعية، وحتى يتم ذلك أريد منك أن تفعلي تماما

ما أقوله لك.

- ماذا يعني هذا؟

- أنا وأنت لم يخلق كل منا للآخر، ولكنك تستطيعين البقاء هنا إلى أن يظهر كل من "جوني" و"جيوف".

سألته في دهشة:

- تقصد مساعديك؟ هل تحدثت معهما؟

- لم أنجح في العثور عليهما، ولكني تركت لهما رسالة وسيأتيان.

- وماذا لو أكدا قصتي؟

- وقتها سأفكر. ومن الآن وحتى يتم ذلك ستبقين في ركنك وتهتمين بشؤونك الخاصة ولا تتحدثي بشكل خاص مع أي شخص. ولو عرف الناس أنني أقوم بإيواء امرأة فإن ذلك سيكون مجالا للإشاعات والأقاويل، وأنا لا أريد أية حكايات حول هذا الموضوع.

فكرت "آني" في انعدام فرصة أن تلتقي بأحد، فهما معزولان تماما ولكنها كانت متمسكة بمعرفة لماذا هو متشبث هكذا بحماية خصوصيته، فسألته عن ذلك، فأجابها -بنظرة سوداء جعلت فرائصها ترتعد:

- ألم تسمعي جيدا ما قلته؟ إنني لا أريد منك أن تتدخلي في غير أمورك الخاصة.

لقد سبق لها أن رأته وهو في حالة نشاط وقوة في "أمريكا" الوسطى. لقد صرع رجلا دون أن يطرف له رمش، ومن الواضح أنه لن يتردد في استخدام هذا الأسلوب إذا اقتضت الضرورة ذلك.

قالت له:

www.rewity.com

- حسنا جدا.. كما تريد.

***

إن "شيز بودين" من النوع الذي ينفذ كلامه، إنه رجل فاسد الخلق حقا! ما إن فتحت فمها حتى سد عليها طريق الكلام. إن مسلكه المهين جعلها تخرج عن شعورها، ولكنه في نفس الوقت ساعدها على أن تعرف قيمة الأمور الحقيقية، وأن تعطي لكل شيء قيمته، وأبعاده الحقيقية.

ذكرها ذلك بأنها عرفت ما هو أسوأ من ذلك في "كوستاريكا"، لقد كان الموت واليأس حظها اليومي. وإذا ما قارنت أخلاق "شيز" السيئة فهي أفضل من الحياة في الدير.

وجدت "آني" ملجأها وتسليتها في مصاحبة "شادو" الكلب الاسكتلندي، وجدت متعة في تصور ذكريات "شيز بودين"، وتصور كيف يمكنها أن تحول هذه الدار الكئيبة إلى بيت لطيف لو تركها تفعل. ولكن انتظارا لذلك فإن مزاج "بودين" الدموي إذا كان يساوي ثقله ذهبا فإنه سيصبح ثريا بعمق وثقل سوداويته، وإذا حدث ومات من سواد روحه فإنه يسعد "آني" أن تدفنه بيديها!

الفصل الخامس

كان "شيز" قد أسرج الجواد، واستعد لأن يلكزه عندما سمع "آني" تناديه باسمه.

- "شيز"!

استدار ثم رآها تقترب وسوطه في يدها. قالت صائحة وهي تجري نحو الإسطبل الذي احتفظ فيه "شيز" بجواده "سموك" وجوادين آخرين وبغلين:

- قلت لنفسي إنك ستحتاج إليه.

وصلت إليه وهي تلهث، وقد بدا عليها الرضا، لأنها لحقت به. أخذ "شيز" السوط من يدها ثم هز رأسه علامة الشكر. كان منظرها يدل على أنها نهضت لتوها من الفراش، كانت نائمة عندما خرج لمدة نصف

www.rewity.com

ساعة أخرى وعندما عاد ألقى عليها نظرة، كان الغطاء قد انزلق إلى الأرض ووجد أن منظرها رائع في ذلك الوضع. لاحظ أيضا أنها كانت مكومة مثل الكرة وهي نائمة مثل هرة صغيرة. والآن وهو يراها مستيقظة وأمام نظره، وهي تحدجه وكلها أمل ورجاء وجد فيها أشياء أخرى خاصة وهي لا ترتدي شيئا تحت بلوزتها مفكوكة الأزرار سوى قميص النوم الذي ترتديه ليل نهار، حتى وهي تأخذ حماما.

خفضت عينيها عندما قال لها وعيناه مركزتان على صدرها:

- إن الفضيلة لها حسناتها.

- آه نعم.. إن هذا يعني.

- إنني أعرف ماذا يعني هذا.

نظرت إلى عينيه مباشرة لمدة لحظات وهو أمر لم يعتد عليه "شيز"، عادة ما كان الرجال والنساء يجدون صعوبة في تحمل نظراته، أو على الأقل كان يبدو عليهم الضيق أما الا تتاثر هي، فإن ذلك أصابه برعدة.

انتهى بها الحال إلى أن فتحت فمها ولكن كالعادة لم تنطق بكلمة مما كان يأمل أن يسمعه في تلك اللحظة. قالت.. وهي تشير بأصبعها إلى أحد بغال الإسطبل:

- هل يمكنني أن أصحبك اليوم؟ فقط مرة واحدة لقد أصبحت صديقة للبغل "فير" فعلا ولن نسبب لك أي إزعاج.

كانت تسأله تقريبا أن يسمح لها أن يصحبها كل يوم، ولكن "شيز" كان يرفض رفضا قاطعا.

- أسف يا ذات الشعر الأحمر. اليوم سأفتش على مزرعة "ماكافري"، وإذا حدثت مشكلة أثناء جولتي فلا أعرف ماذا أفعل معك.

بعد هذه الكلمات امتطى "شيز" صهوة جواده، وصفر للكلب وعندما وصل إلى بقعة العشب عند طرف مكان متسع، اكتشف أن "شادو" لا يسير خلفه. دهش واستدار، ورأى أن كلب الرعي الاسكتلندي كان جالسا في استمتاع عند قدمي "أني".

صاح "شيز":

- هيا.. تعال!

لم يرد "شادو" أن يتحرك من مكانه فصاح:

- ما الذي فعلته في الكلب؟

هزت كتفيها بما يعني أنها لم تفعل شيئا، نادى "شيز" ثانية على كلبه، ولكن "شادو" ظل ثابتا كالتمثال.

لم يصدق "شيز" عينيه فاستدار نصف دورة.

قالت "أني" وهي تربت بيدها على رأس الحيوان المتمرد:

- أعتقد أن "شادو" يريد أن يخبرك أننا نشكل فريقا.. وإذا أردت أحدنا فلابد أن تأخذ الثاني.

همهم "شيز" في غضب.. وهو غير قادر على إخفاء دهشته:

- إنه إذن ابتزاز.

ظل يحدجهما. هي و"شادو" فترة طويلة وهو يدعو السماء أن تهب لمساعدته، ولكن يبدو أن السماء لم تكن في صالحه في تلك اللحظة واضطر أخيرا إلى الاعتراف بأن الأقدار في صف "أني"، وأنه يحارب ضدها في معركة خاسرة.

قال:

- حسنا.. اذهبي وارتدي ملابسك، ولكن لو حدث شيء سيئ فأنت

www.rewity.com

المسؤولة.

بعد لحظات كانا يتبختران فوق الجواد والبغل، يتبعهما الكلب "شادو" وكانهم أسرة صغيرة وسعيدة. كان "شيز" يحاول أن يقنع نفسه أنه فعل خيرا عندما سمح لها بالحضور، ثم انتهى إلى أن قال في نفسه: إن من الخير أن يشغلها بعمل ما، وإن هذا سيجعلها تنسى أفكارها وخططها في إغوائه، والتي شغلتها كثيرا في الآونة الأخيرة.

إنها لم تكف عن طرح الأسئلة حول الرجال والنساء والعلاقات العاطفية بينهم، وهي لا تحاول أبدا أن تضايقه بأسئلتها، وإنما من الواضح أنها كانت تريد أن تعرف، وكان هذا واضحا من تركيزها على نوع الأسئلة.

أما في هذه اللحظات فلم يعد هناك ما يقلقه حول هذا الموضوع. لم يسبق لها أبدا حتى الآن أن امتطت جوادا، وقد وجه إليها "شيز" بعض التوجيهات فقط. كان قد أخبرها أن تستقر فوق المطية مثل شوكة الدريس المغروسة في القش، بحيث يصبح جسدها هو يد الشوكة وساقاها مثل أسنانها. بهذه الفكرة حاولت أن تبذل جهدا كبيرا حتى تصبح مثل قطعة آنية معدنية من أواني المطبخ.

ولكن هذا المخلوق الضخم الذي يتحرك ويتململ باستمرار لم يتح لها الفرصة لتحقيق ذلك. وبدت وكأنها تحاول أن تلتقط قطعة لحم ضخمة بشوكة سلطة. وكانت من حين لآخر عندما تشعر بالأمان تلقي نظرة مختلسة نحو "شيز"، وهي تأمل أن يسارع إلى مساعدتها، ولكن "شيز" ظل صامتا وشاردا، إلى أن ارتكب "شادو" حماقة الاحتكاك بإحدى أشجار الكافور وأخذ ينبح، ضحك "شيز" ضحكة مكتومة، ثم

رفع عينيه: لتلتقيا لحظة بعيني "أني" عندما حدقت فيه أدركت أن إحساسا غريبا غمرها، وأوشكت أن يغمى عليها

- هل كل شيء على مايرام يا آنسة؟!

عندما ناداها بهذا اللقب أول مرة لم تكن واثقة بأنها تحب ذلك، ولكنها بدأت تتعود عليه. عندما وصلا إلى سور المزرعة نبهها "شيز"، وأمر "شادو" أن يكف عن الزمجرة، ثم أشار بأصبعه إلى مجموعة الماشية، وقال:

- إن الثيران ذات القرون الطويلة لا يمكن توقع تصرفاتها.

حمل سوطه، وسالته "أني" والفضول يدفعها إلى أن تطرح السؤال الذي يصول ويجول في رأسها منذ أن قابلته أول مرة:

- أخبرني يا "شيز"! لماذا تستخدم السوط؟ إنه سلاح غير مألوف.

أجابها بابتسامة غامضة:

- إنه يسبب خسائر أقل.. مثلا أستطيع أن أنزع سلاح الرجل دون أن أقتله.. أو إرهاب امرأة دون أن المسها..

نظرت إليه "أني" غير مصدقة:

- لست أصدقك.

قال وهو يستدير نحوها:

- لا تصدقين أنني أستطيع نزع سلاح الرجل أم إرهاب المرأة؟

لقد سبق لها أن رأته ينزع سلاح رجل في "كوستاريكا"؛ ولذلك لم تشك في الجزء الأول من تبريره لاستخدام السوط. سألها:

- هل تريدين أن تشاهدي عرضا لذلك؟

- لا!

www.rewity.com

استأنف "شيز" طريقه وتبعته "آني" على مضض، وهي تدرك أنه يحافظ على مسافة معينة بين القطيع وبينهم وهو "يطرقع" بسوطه من حين لآخر. كان صوت صفير السوط يزيد من عصبية "آني"، وتحس في كل مرة أنها تلقت صدمة كهربائية.

إنها على أية حال تحاول أن تتأكد من شيء واحد، وهو ألا يحاول تنفيذ عرضه عليها هي.

أطاح "شيز" بسوطه، وقطع زهرة سوسن بمهارة جراح بطرف السوط. راقبته "آني" وهو يهبط من فوق ظهر الجواد.

سألها - وهو يستدير نحوها:

- هل تحبين الزهور؟

هزت رأسها في حركة غريزية لا دخل لها بأن كانت تحب الزهور أم لا.

قال لها -وهو يقدم لها زهرة السوسن-:

- على أية حال إن تأثيرها أجمل فوق شعرك عن شعري.

أخذتها "آني" دون تفكير، ودستها خلف أذنها. على أية حال لقد فعلت ذلك مادام يسعد الرجل ذا السوط. سألها:

- هل تحبين أن تهبطي من فوق الجواد؟ هل تريدين فك عضلات ساقيك؟

تركت نفسها تنزلق من فوق البغل إلى الأرض، وهي ترتجف بشدة فوق ساقيها عندما ساعدها بوضع يديه حول وسطها؛ ليضعها فوق العشب، من الأفضل لها أن تتماسك، خاصة وهي تحس بأنها أقرب إليه من أي وقت مضى أن عادت تبحث عنه. لقد مر أسبوع! وهذا

بالضبط ما أرادته.. أن تمكث معه على الأقل أسبوعا.

إن هذه النزهة الصغيرة وضعتها وسط السحاب، نزعت بلوزتها ولفتها حول وسطها أمام نظراته شبه المذهولة، وشبه المستمتعة. قال لها وهو يلقي إليها بقبعة رعاة البقر التي يرتديها:

- من الأفضل أن تضعي القبعة على رأسك، ثم مال نحو الأرض ليلتقط سوطه. قال لها:

- يبدو أن هذا الشيء الصغير يسبب لك العصبية، ألا تجدين أنه ربما -في يوم من الأيام- تحتاجين إلى تعلم استخدامه؟

- لا.. شكرا.

لم يكن لديها أدنى رغبة في لمس السوط، وهي متأكدة من ذلك تماما.

إن براعته في استخدام هذا السلاح كان يشد أعصابها إلى أقصى درجة، ولكن هناك أمرا آخر. إن خوفها الذي تحسه لا يختلف عن خوفها من الثعابين السامة في الغابات الاستوائية.

قالت له ترد على سؤاله القديم.. وهي تبتعد وسط البراري-:

- سأتبع نصيحتك وألين عضلات ساقي.

- إنني أستطيع أن أعلمك "طرقعة" السوط في لمح البصر.

سكت فترة، ثم استطرد بصوت رقيق:

- لن يفيدك الهروب في شيء يا "آني"، إن الأمور تنتهي بأن تمسك بك بطريقة أو بأخرى.

- ولكني لا أهرب.. إنني أتمشى.

قال -وهي تنفعل انبهارا بجمال الزهور-:

- "آني"! ما الذي لا يجري على ما يرام؟

- لا شيء.

- إذن تعالي وكلميني.

قالت له -في دلال وصوت رقيق-:

- دعني في حالي. أريد فقط أن أجني بعض الزهور.

- أنا لا أكرر الطلب مرتين يا "آني".

أخذت يدها ترتجف، وهي تتظاهر بأنها لم تسمع شيئا، وركعت لتقطف زهرة ثم أحست بشيء يحتك بظهرها، وعندما رفعت عينيها نحوه، وجدت أن بلوزتها لم تعد في مكانها حول وسطها وإنما بين يديه. سألته:

- لماذا؟ لماذا فعلت ذلك؟

- حتى أجذب انتباهك، مم أنت خائفة يا "آني"؟ من السوط؟ لا يوجد سبب للخوف.

أجابته -وهي تحدجه بإمعان-:

- بل هناك سبب.. إنه خطير جدا. قد يجرحني.

- لن يجرحك السوط. أستطيع أن أستخدمه دون أن يصيبك أي خدش.

تراجعت للخلف وهي تشعر بجفاف حلقها.

- إن هذا أمر سخيف -إنك لن...

- إنه لعبة أطفال، انظري.. لن أسبب لك أي أذى. وما عليك سوى أن تحتفظي بالهدوء.

صاحت -وهي تغمض عينيها وقد أصابها الرعب الشديد-:

- يا إلهي!

أخذت ترتجف ثم سمعت صوتا يشبه صوت الرعد، وعندما فتحت عينيها رأت السوط يلتف حول وسطها. ثم جذبها نحوه.

- إنه مجرد لعبة أطفال يا "آني". هل أنت بخير؟ كان كل شيء قد اختلط حولها، وكأنما أحاطه الضباب أو الغبار. قال لها:

- لا تتحركي وإلا ضاق السوط حول وسطك. سقط السوط على الأرض، بينما سقطت بين ذراعيه. قال لها:

- هذا هو كل ما هناك. إنه لا شيء..لا شيء. همهمت وصوتها تكتمه الشهقات والبكاء.

- أنا لا أحب الأسواط.

- سامحيني إذا كنت قد سببت لك الخوف. لقد أردت فقط أن تعرفي أنه ليس هناك ما يدعوك إلى الخوف، ولم أجد أفضل من عرض بسيط حتى أقنعك.

- في المرة القادمة أرجوك ألا تتسرع هكذا، هل فهمت؟

بدا تعبيرها يسليه، ثم سألها.

- ماذا تقصدين؟ هل عجلت الأمور؟ إن آخر مرة على ما أذكر كنت تحسين بالخيبة عندما أردت تهدئة اللعبة.

تذكرت "آني" أن ذلك كان عند أول لقاء لهما، لقد كانا على حافة الاندفاع في مغامرة عاطفية، لقد كانت عيناه تقولان ذلك، وهي لن تنسى أبدا ارتجاف صوته، وحرارة نظراته. قالت له. وهي ترتجف بكل جسدها-:

- حسنا.. ربما أنت على حق، وأن عليك أن تتعجل اللعبة

غامت عيناه. إنه يفهم بالضبط ما تريد أن تقوله.

www.rewity.com

أجابها -وهو يمرر يده في شعره-:

- لا تغريني يا آنسة "آني".. ربما لن تحبي اللعبة عندما تنتهي.

قالت له بثقة:

- بل سأحبها.. وأعدك بذلك.

- إنني أتساءل عم إذا كنت تعرفين ماذا أريد؟

- أعدك بأنني سأحب ذلك.

أحست "آني" برغبة شديدة في أن تعترف له بحبها، وتثبت بذلك صدق كلامها من أنها زوجته ولكنها عاجزة عن الإتيان بأي حركة لتشجيعه، إن تأثيره قوي ومدمر ويصيبها بالعجز. فجأة نهض "شيز" وقال:

- هل تسمعين يا "آني"؟ الجياد.. هناك شخص ما يقترب..

- الجياد؟

تساءلت لماذا يريد منها أن تنتبه إلى الجياد؟ إنها لا تحس إلا برغبة واحدة.. أن يستمرا إلى أن يعترف لها بأنها زوجته وهي لا تستطيع الانتظار أكثر من ذلك.

فجأة أمرها بصوت خشن انتزعها من شرودها:

- افعلي ما أقوله لك ولا تطرحي أسئلة.. اذهبي واختبئي وسط الأشجار.. هل تسمعيني؟ هيا أسرعي.

نفذت الأمر، وكأنها منومة مغناطيسيا، أو كأنها إنسان آلي. ولكنها عندما استدارت قرب الأشجار وقفت فجأة. إنه الفضول الذي يسيطر عليها ولا تستطيع معه أن تفعل شيئا. إنها في حاجة إلى معرفة شيء ما. سألته:

- هل صحيح يا "شيز" أنك يمكن أن تستخدم السوط مع امرأة دون أن تؤذيها؟

قال وهو يعدل من وضع قبعته فوق رأسه:

- إنني ماهر جدا ولكني لست واثقا بانني ماهر لهذه الدرجة.

رأت "آني" ثلاثة رجال يقتربون.. إنهم سارقو جياد في الشمال.. هذا ما أخبره به الرجال الثلاثة.. قال لهم:

- سأكون معكم خلال دقيقة.

ثم استدار نحو "آني":

- عودي إلى البيت، أتعشم أن تعرفي الطريق، خذي معك الكلب، ولا تتحركي حتى أعود.

بدأت "آني" طريق العودة، وهي تشعر بالقلق إنه صائد الجوائز، وهي تعرف ذلك. ولكن الفكرة لا تسعدها على الإطلاق. ماذا لو جرح او أصيب؟ وماذا لو غاب عدة أيام وربما أسابيع؟

مررت يدها في شعرها ودهشت عندما عثرت على الزهرة في وسط شعرها. إنها معجزة أن ظلت الزهرة في مكانها بعد كل تلك الانفعالات والحركات. أضاءت ابتسامة وجهها النضر الصبوح، حلو التقاطيع، وهي تمسك بالزهرة وتفحصها بعد أن نزعتها من مكانها وسط شعرها لقد واتتها فكرة.. إنها تعرف ماذا تبقى أمامها لتفعله.

ما إن وصلت المنزل حتى بدأت العمل، ولكن الشيء الوحيد الذي كانت تجهله هو هل لديها الشجاعة الكافية لتتم العمل؟

الفصل السادس

مر يومان على رحيل "شيز"، وبذلت الشابة كل جهدها؛ لتطرد الفكرة الرهيبة التي نمت في روحها، ولكنها لم تعد تتحمل اكثر من ذلك.

اتجهت نحو "السوبر ماركت"، ولكنها تراجعت، إنها لا تستطيع أن تذهب إلى اي مكان بزيها هذا. لقد كان "شيز" قاطعا... إنه لا يريد أن يعرف الناس أن امراة تعيش تحت سقف بيته، وحتى وإن لم يشرح لها السبب في هذا المطلب؛ فإنها ليست متمسكة بان تفعل اي شيء كان يمكن أن يخلق لها مزيدا من المشاكل، عادت إلى البيت وهي تنوي أن تجري بعض التغييرات في زينتها.

###

عندما ركبت السيارة القت نظرة على المراة العاكسة. لقد اخفت

شعرها تحت قبعة ضخمة من قبعات رعاة البقر عثرت عليها في دولاب الملابس، وارتدت سترة ضخمة بحيث تخفي بروز صدرها. بل إنها غطت وجهها بالهباب محاولة التخفي. بدا وجهها قذرا بدلا من اللحية التي حاولت أن تصنعها بالهباب، ولكنها اقتنعت بان الناس سيعتبرونها رجلا.

بعد بضع دقائق من السير في الطريق ظهرت بلدة "الفرس المطلي" عند الناصية. سعدت برؤية المدينة في أحضان الوادي، وقالت في نفسها: إن جمال المنظر الطبيعي هو علامة على انها احسنت صنعا بالقيام بهذه الرحلة الصغيرة.

تجنبت أن تركن السيارة في الشارع الرئيسي وفضلت أن تضع الشاحنة الصغيرة في حارة، وعندما اتجهت إلى وسط المدينة بدا مكتب البريد مهجورا. يبدو أن كل السكان تواعدوا على اللقاء في بعض المنشآت: الرجال عند الحلاق والمطعم، والنساء عند صالون التجميل. بعد نصف ساعة عادت، وهي تحمل كيسين كبيرين.. لقد انفقت تقريبا كل مدخراتها ولكنها كانت سعيدة بالستائر الصفراء، والوسائد التي عثرت عليها.. اشترت أيضا سجاجيد، وآنية معدنية للمطبخ ذات الوان مبهجة وزهرية ضخمة لتضع فيها الزهور البرية.

كان أملها الوحيد أن يفهم "شيز" مجهوداتها ويقدرها وأن يشكرها عليها. لقد مر وقت طويل وهو يعيش في هذه المقبرة لدرجة انه لم يعد يحس بمدى كآبة المكان. لابد أن يضيف شخص ما لمسة حياة إلى هذه المقبرة الكئيبة. يجب أن تبين له أن الأمور يمكن أن تتغير كثيرا بقليل من الخيال.

www.rewity.com

قبل أن تغادر المدينة توقفت عند الصيدلية. إن "شيز" لم يفكر في احتياجاتها الشخصية عندما كان يقوم بالشراء. قالت في نفسها: إنها أشياء لا يفكر فيها الرجال.. لقد كان والدها منهمكا في أبحاثه الطبية حول الأمراض الاستوائية، لدرجة أنه رحل لدراسة نوع جديد من الملاريا عندما كانت زوجته على وشك ولادتها. بالتأكيد أمها "سارة" كانت طبيبة هي أيضا، وهي قادرة تماما على التصرف في الولادة بمفردها. ولكن "آني" كانت دائما تتساءل: كيف استطاعت أمها أن تتحمل كل تلك المحن؟ لقد كانت الغابة مكانا مخيفا وجميلا في آن واحد.

فكرت "آني" إنها ليست الغابة التي قتلت والديها.. خطرت على بالها هذه الفكرة، وهي تدخل الصيدلية.. إنما الرجال هم الذين قتلوهما، لقد رفض والداها أن يتركا أهالي البلدة. لقد أنقذ الهنود الحمر حياة "آني"، ووجدت ملجا في الدير.

###

صاحت "آني" في حماس، وهي تتأمل التغيير الكلي الذي أحدثته خلال ساعات قليلة: إنها معجزة.

لقد أصبح المنزل الدار الصالحة لتحقيق حلم حياتها، بل إنها الدار الوحيدة التي حصلت عليها حقا. ما إن وصلت إلى البيت حتى انطلقت تعمل بحمية ونشاط محموم، ولم تتردد في إفراغ كل الدواليب: لتنظيفها، وعثرت على كل الأشياء الغريبة في الأدراج، وبالتأكيد وجدت كمية هائلة من الغبار، وربما كان غبارا منذ فجر التاريخ.

عثرت أيضا على صورة فوتوغرافية قديمة لـ"شيز" بصحبة "جوني"

و"جيوف" في الوقت الذي كانوا يعملون فيه جنودا مرتزقة. كان الثلاثة قد رفعوا كؤوسهم أمام عدسة الكاميرا. لم تستطع "آني" أن تمنع نفسها من التفكير في البطل الشاب الذي أنقذ حياتها، نظرت في خلف الصورة، ووجدت أن "شيز" خط بضع كلمات "المهمة الأولى.. إيران.. طهران.. تم تحرير عشرة سجناء أمريكيين.. نجحت المهمة".

أحست الشابة بأنها فريسة موجة اجتاحت روحها، فوضعت الصورة مكانها، واستأنفت العمل. وعندما انتهت من التنظيف الأكبر عادت إليها روحها المرحة.

علقت الستائر وثبتت الوسائد على مقاعد المطبخ، كما وضعت السجاجيد في الصالون بعد أن لمعت "الباركيه" بالورنيش، ثم وضعت بعض زهور الحقول في الزهرية. كانت النتيجة مبهرة.. لو كانت للبيوت وجوه فإن وجه هذا البيت يبتسم. كان المكان الوحيد الذي لم تلمسه هو حجرته الخاصة.

أخذت تفكر في أركان العقيدة الأربعة الأساسية في الدير: الرحمة والطهارة والإيمان والسرية.. ربما كان سلوكها يجعلها أحيانا تتغاضى عن الأركان الثلاثة الأولى ولكن على الأقل عليها أن تحترم الركن الرابع.

وعلى ذلك قالت في نفسها: "إنها مجرد نظرة سريعة وهي واقفة على عتبة الباب لا تتجاوزها. عندما اقتربت من الباب أخذ الكلب ينبح مما أثار فضولها أكثر. كان كل شيء وهي عند العتبة يبدو طبيعيا. لا شيء سري ولا مخيف سوى أن عدم وجود نوافذ هو الأمر غير الطبيعي.

كانت على وشك الانسحاب عندما اجتذب انتباهها بريق معدني نحو

WWW.REWITY.COM

أقصى ركن في الغرفة السوداء، لم تكن الجدران قائمة عمودية مثل جدران البيوت العادية، بل بدت أيضا غير متساوية. فكرت أنها مبنية بالحجارة. لقد لاحظت من الخارج أن البيت مقام على كتلة من الجرانيت الصلب، ولكن لم يخطر على بالها أبدا أنه ربما كان محفورا وسط التل.

اعتادت عيناها على العتمة، ثم لاحظت شكل باب لاشك أنه يؤدي إلى كهف تحت الأرض. كان الانعكاس الضوئي الذي جذب انتباهها يأتي دون شك من شبكة بوابة حديدية. كانت مبهورة وهي تدخل الحجرة، كان "شادو" الذي لم يكف عن الزمجرة قد أخذ في النباح الآن بكل قواه. صاحت به:

- صه.. إنني فقط أريد أن ألقي نظرة سريعة. حاولت فتح البوابة الحديدية ودهشت عندما وجدتها تنفتح بسهولة.. أين إذن الترباس والقفل؟ لابد أنه نسي أن يغلقها بهما. أيا كان السبب فقد رأت في ذلك دعوة لها: لكي تستمر في تفتيشها، وعندما فتحت الباب انطلق "شادو" ينبح كالمجنون ولكن رد فعل الكلب لم يفزعها، كانت دياجير الظلام تسود النفق مما جعلها تتردد.

بعد لحظات استخدمت أعواد الثقاب التي وجدتها فوق رف المدفأة، وتوغلت في النفق حيث تعثرت، ووقعت في كهف يبدو طبيعيا وليس من صنع الإنسان. لم تعثر على أي أثر لعملية مرور حديثة بالنفق، ولا أي علامة تمكنها من أن تستشف فيم يستخدم الكهف والنفق. همت أنني أن تستدير نصف دورة عندما لمحت نفقا آخر يشكل زاوية (ثمان وأربعين) درجة مع النفق الأول.

هذه المرة قاومت فضولها، وقالت لـ "شادو":

- هيا بنا نعود يا "شادو".

عندما تراجعت في طريقها أحرقت أنني أصابعها وهي تحاول إشعال عود ثقاب. كان الألم شديدا لدرجة جعلتها تسقط العود وكذلك علبة الثقاب، ووجدت نفسها غارقة وسط العتمة.

تملكها الخوف وركعت على ركبتيها لتبحث عن العلبة وهي تتحسس الأرضية. كانت الأرضية مثلجة ورطبة تحت أصابعها، وأحست بشعور مفزع، إنها تلمس شيئا حيا ولزجا. صاحت وهي يائسة من وضعها:

- "شادو".. تعال هنا.

إن الكلب يمكنه أن يقودهما هما الاثنان.

- أين أنت يا "شادو"؟

استمرت تناديه وهي تتقدم كالعمياء. هناك أمر ما ليس على مايرام.. أين ذهب الكلب؟ كل شيء أصبح فجأة هادئا للغاية، وكانت رائحة الأرض الرطبة خانقة.

- "شادو"!

كانت تسمعه وهو ينبح ولكن النباح كان بعيدا جدا، نهضت لتسير في اتجاه النباح لكن الأرض الطينية انهارت تحت قدميها لتسقط في الأعماق صرخت وهي تسقط:

- "شيز"!

***

مرت ثلاثة أيام و"شيز" يطارد آثار اللصوص دون جدوى، قال في

نفسه.

- إنهم سحرة حقيقيون.

كانت الرحلة على ظهر الجواد قد جعلته يشعر بالاسترخاء، ولكن رغم جهوده فإن ذهنه دائما ما كان يعود به إلى المراة التي في انتظاره، لم ينجح في أن يطردها من خياله طوال الرحلة، وتساءل إن كان سيجدها لاتزال موجودة عند عودته.

لقد دخلت حياته بطريقة غريبة جدا لدرجة انه كان يتوقع ان تخرج من حياته بصعوبة.

إن فكرة أن يراها ترحل تجعله يشعر بارتياح شديد، ولكن ما إن يراجع نفسه حتى يحس بداخله بإحساس غريب يتصاعد ويتزايد، وبرغبة شديدة في أن يراها ثانية.

إن الأمر اصبح شديد الخطورة، وهو يعرف ذلك، ولكن كان من الواضح أنه من الصعوبة عليه أن يكتم عواطفه نحوها.

طرد أفكاره، وعاد إلى الانطلاق بجواده. إن الصور المبالغ فيها والأفكار الغريبة لا تكف عن مطاردته منذ تباشير الفجر، ولا يوجد شيء يمكن أن يمحوها، صورة شعرها الأحمر وقد تبعثر على وسادتها، وشكل انفها الصغير الغريب. لسبب مجهول يجد لديه رغبة شديدة في أن يداعب ذلك الأنف.

صور وأفكار غريبة تطارده ليل نهار، وكلها تدور حول تلك المراة التي تدعي أنها زوجته وأنهما مارسا حياتهما الزوجية الطبيعية، وهو لا يذكر ما حدث وإنما فقط يتخيله. ود -ولو مرة واحدة- أن يستمر معها للنهاية دون أن تنتابه الشكوك وحالات إغمائها وصوت

الصغير بداخله الذي لا يكف عن تحذيره من التمادي في علاقته العاطفية معها. هل ما يطلبه كثير على رجل يائس؟

- همهم بصوت منخفض:

- لو أراد الله أن يرحمني لوجدت "آني" وقد رحلت عند عودتي!

ارتفعت الشمس فوق التلال عندما اقترب "شيز" من السهل المنبسط الذي يحتضن منزله. إنه لا يرى أي علامة على الحياة داخل البيت، ولكن ربما لم تستيقظ بعد فلا يزال الوقت مبكرا.

أو ربما استجابت السماء لدعوته!

كان الباب مفتوحا على مصراعيه. وبينما كان يهبط من فوق ظهر الجواد اسرع "شادو" نحوه مال عليه ليداعب الحيوان الثائر جدا.. لا أثر لـ"آني" على الإطلاق الأمر الذي بدأ يحيره. صاح في ضجر في وجه الكلب الذي لم يكف عن النباح والقفز.

- الهدوء يا "شادو".. ما الذي حدث؟

وقف مسمرا أمام الباب، وقد غمرته موجة شديدة من الغضب. لقد حولت بيته إلى صالون جنائزي. صاح -وهو يلتفت نحو "شادو" مناديا عليها-:

- "آني"! ما الذي حدث يا "شادو"؟

سحبه الكلب نحو غرفته وهو يتاوه. تردد "شيز" لحظة. كان الباب المفتوح هو أول مالاحظه عندما دخل الحجرة وهمهم

- يا إلهي! يا إلهي!

الفصل السابع

سارع "شيز" إلى النفق مزودا بكشاف يعمل بالبطارية وأخذ يصيح مناديا:

- "أني".

غطى صوته الذي كان يتردد صداه عاليا على أية أصوات أخرى عدا نباح الكلب المجنون.

ولكن بدا الكهف خاليا. وجه ضوء كشافه نحو الأرضية وفهم ما حدث. كان انهيار قوالب الطوب عند حافة المنخفض يؤكد أسوأ مخاوفه لقد سقطت!

أصاخ السمع إلى التأوهات الصادرة من بعيد ثم أخذ "شيز" يبحث عن مصدرها إلى أن اكتشف جسد "أني" مكوما. أحس بالارتياح وسقط

على ركبتيه بجوارها لقد كانت محشورة في ركن من أركان الهوة. سألها:

- "أني"؟

تحركت قليلا وكأنها تحاول استعادة قواها حتى تستطيع الرد. سألته وهي ترفع رأسها:

- "شيز"؟ هل أنت "شيز"؟

- هل تسمعيني يا "أني"؟ هل أنت مصابة؟

حاولت أن تنطق ببضع كلمات ولكن صوتها خنقته الدموع والنشيج.

- أوه يا "شيز"! أين كنت؟ لقد خشيت ألا تعود أبدا.

ظن "شيز" أن قلبه سيخونه، بل إنه لم يجد القوة ليجيب عليها؛ لأنه كان مصدوما للغاية. لقد مرت به لحظات من الخوف من فكرة أن تكون ميتة أو مصابة إصابة خطيرة. ولكن الشيء الوحيد الذي يهمه الآن هو أن يخرجها من ذلك الجحر.

###

بعد بضع دقائق كانت على الفراش وجلس بجوارها، وهو يمسح دموعها بأصابعه. غمرته موجة من الحنان. لقد أحس بالارتياح الشديد عندما عرف أنها لم تصب بسوء.

سألته "أني" في خجل:

- إلى أين يؤدي هذا النفق اللعين؟ وفيم يستخدم؟

- لقد كان موجودا عندما اشتريت الكوخ. وحسب أسطورة يرددها أهل البلاد فإنه كان مهربا لسارقي الخيول. إذا انقلبت الأمور ضدهم

فإنهم يستطيعون الهروب من النفق بينما الحفرة تتولى امر مطارديهم.

مرة أخرى وجد رغبة شديدة في أن يمرر يده في شعرها الأحمر الحريري المشتعل، وأن يقول لها أشياء لم يقلها أبدا لأي امراة، أن يقول لها حماقات رومانسية مما يقال في الأفلام السينمائية العاطفية، ولكنه بدا غير مدرب على ذلك، وأن تلك الكلمات لا تجد مكانا لها في فمه. سالته فجاة:

- ألا يعجبك ما فعلته؟ اقصد بالمنزل؟

- لا.

في الحقيقة كان يحس بالرعب مما فعلته. ربما كانت الزهور والستائر الداكنة الشيئين اللذين يكرههما اكثر شيء في العالم بعد سارقي الجياد. ولكن من الواضح أن اللحظة ليست مناسبة ليخبرها بذلك.

أمسكت بيده، وضغطت عليها بقوة أدهشته:

- هل تريد أن تقول حقا إنها أعجبتك؟ حقا؟

- ليس هذا ما قلته.

- ولكنك لا تكره ما فعلته.. لقد قلت إنك لم تكرهه.

أكد لها كلامها على مضض، وساعدها على النهوض. قالت له عندما نجحت أخيرا في الوقوف على قدميها:

- اتبعني!

- إلى أين؟

- لدي شيء أريد أن أريه لك

نهض وهو يتاوه؛ لأنه ظل فترة طويلة على ظهر الجواد، ثم خلع سترته الجلدية، وساربجوارها خطوة بخطوة، وهو يتساءل عم تخبئه له أيضا من مفاجات أخرى. فتحت دولاب المطبخ وقالت:

- لقد اشتريت لك آنية المطبخ المعدنية يا "شيز".

أخذت طبقا ودسته في يده وقالت:

- إنه جميل هذا.. أليس كذلك؟

كرر "شيز" كلامها في عصبية:

- آنية مطبخ؟ من أجلنا؟ أين عثرت على هذه؟ "آني".. هل ذهبت إلى البلدة؟

وضعت الطبق مكانه:

- مجرد جولة صغيرة.

- كيف ذهبت إلى هناك؟ أوه يا إلهي! أأخذت سيارتي "البيك آب"؟

نظرت إليه في إحباط، ولكنها مصرة على ألا تقبل لهجة الاتهام التي بدت واضحة في صوته:

- نعم.. لقد أخذتها، لقد وجدت صعوبة في أن اذهب سيرا على الأقدام.

- اللعنة! ولكن ما الذي خطر على بالك؟ امراة ذات شعر أحمر خلف عجلة قيادة سيارتي؟ لا يمكن أن تكوني قد مررت بها دون أن يلاحظك أحد!

بدأ نفاد الصبر يظهر عليه.

قالت له -شارحة وهي تسترد أنفاسها-:

- لقد اخفيت السيارة في حارة ولم يشاهدني أحد، ثم فوق ذلك لقد

www.rewity.com

كنت متخفية في صورة رجل

بدا "شيز" يلف ويدور حول نفسه وهو لا يصدق ما يسمعه، وهو مذهول من التغييرات التي احدثتها بالبيت وديكوراته إنها كارثة حقيقية. قالت:

- لقد أردت فقط أن أضيف بعض البهجة، وظننت انك عندما ترى ذلك ستسعد.

- أسعد؟ ولكن باي حق تعودين إلى بيوت الناس وتقلبينها رأسا على عقب؟ ليس هذا من حقك. لقد سبق أن أخبرتك الا تهتمي إلا بشؤونك الخاصة. والا تدسي انفك في شؤون الآخرين!

أغلقت باب الدولاب، ثم استدارت وقد بللت الدموع عينيها:

- لقد عملت ليل نهار؛ لأرتب بيتك وانت لا تقدر أي شيء مما فعلته. لا شيء!

تاثر كثيرا من لهجتها ونبرة صوتها، ولكن لم يكن هناك مجال لأن يقع في الفخ. لقد تغلبت ثورة الغضب على الحنان. إنه المزاج الذي يفضله في معاملته مع الآخرين. قال ببطء -وهو يحاول ان يتابع افكارها-:

- بل اقدر ذلك. إنك تثيرين حنقي ودهشتي، تذهبين إلى المدينة متخفية ومتنكرة في صورة رجل، وتضعين زهورا في بيتي الذي لم أعد اتعرف عليه!، ثم تدسين انفك في حجرتي ثم تتسللين إلى اماكن لا دخل لك بها، وتفلتين باعجوبة من الموت! يمكنك أن تعتبريني فظا، ولكني بصراحة لا أستسيغ كل ما فعلته.

حاولت "اني" أن تهدئ من العاطفة التي بدات تهب بداخلها. لو انه

لم يعاملها برقة بالغة وغير مفهومة -بعد أن أخرجها من الهوة- ربما لم تكن لتحس بالجرح الشديد، وهي تراه لا يقدر كل ما فعلته. حتى الستائر الصفراء! إن هذا يجرحها.. وبعنف والم.. قالت له -وهي تدير له ظهرها وقد عجزت عن احتواء دموعها-:

- أنت متمسك تماما بالتخلص مني.. أليس كذلك؟

كانت تشعر بانها حمقاء خاصة عندما قال لها:

- لوكان ذلك في مقدوري لفعلت ذلك في الحال ودون أن يطرف لي رمش.

- حسنا.. ما الذي يمنعك من أن تفعل ذلك؟

- لأن معك قطعة من الورق تقول إنك زوجتي هذا هو السبب! إنه أسوأ نوع من الابتزاز رأيته في حياتي كلها!

قالت وهي تستسلم لثورة غضبها:

- أنا.. ابتزك؟ هل هذا ما تظنه؟ تظن أنني أبتزك؟

- وماذا تسمين ذلك؟

ظلت "اني" مذهولة من كلامه. لقد عادت إلى ذاكرتها كل سنوات العذاب الخمس التي عاشتها والتي حاولت أن تنساها بكل جهدها.. لقد اعتقدت أنها دفنت ذكريات تلك الفترة ولكنها انتظرت أول فرصة، لتعود إلى مهاجمتها بكل قسوة وشراسة. صاحت:

- ابتزك! هل نسيت أنني دخلت السجن بسببك؟

- السجن؟ ماذا تحكين؟

كان الأمر أقوى منها. إنها لم تستطع أن تحفظ السر وقصت عليه المحن التي قاستها بعد حادثة السيارة.

- لقد عثر علي رجال الشرطة السرية وأنا فاقدة للوعي، وعثروا على وثيقة الزواج في حقيبة يدي. لقد استجوبوني ولما لم يكن عندي ما أقوله، فقد اقنعوني أنك هربت، وتركتني لأموت. وقالوا لي إنك عميل سري، وقد اتهموني بالتآمر والتخريب وهدم نظام الحكم.

احتج "شيز" وهو يحاول أن يضفي القسوة على نبرة صوته:

- ولكن لم أكن أعرف! لقد أخبروني أنك مت.

أجابته بلهجة متعبة:

- لا.. لم أمت. ولكني لم أكن حية أيضا.

مسحت دموعها وأحست بـ"شادو" وقد أتى إلى جوارها، وأخذ يحتك بساقيها. كانت تتوق شوقا إلى أن تلقي بنفسها بين ذراعيه وتذرف دموع حياتها، ولكنها لم تجرؤ. لقد كان الجرح قويا أكثر من اللازم إنها لن تقاوم وأقل شيء يمكن أن يحطمها.

- "أني"! احكي لي.. ما الذي جرى؟

حدجته فترة طويلة ثم انتهى بها الحال بأن قالت:

- لقد عرفت الأخوات الصالحات أنني على قيد الحياة وأنني في السجن. وقد نجحن في إخراجي من السجن ولكن ليس قبل أن تحصل الشرطة على ما تريده، إن لديهم وسائل للاستجواب لا توصف.

- يا إلهي!

- لقد كان الأمر من الممكن أن يكون أسوأ على ما أظن. لقد وضعوا في حسبانهم أنني فقدت والدي بعد أن صرعهما رجال العصابات المسلحة وأنني لم أكن سوى طفلة. ولذلك عفوا عني. إنهم لم يغتصبوني ولم يعذبوني.. حسنا ليس بدرجة كبيرة.

- ليس بدرجة كبيرة؟ "أني"! ما الذي فعلوه بك؟ أخبريني!

- لقد عشت على الفول السوداني والخبز الجاف فقط، ولما لم تفلح هذه الطريقة معهم، فقد هددوني بأن يشوهوا وجهي، وأخبروني أن منظري سيكون مخيفا لدرجة أن أحدا لن يستطيع التعرف علي.

أشارت إلى طرف أنفها وقالت:

- لقد بدءوا بهذا.

كان "شيز" مصعوقا:

- "أني"! لم أكن أعرف... يجب أن تصدقيني.

بدا سؤال مؤلم ينمو في ذهنها. هل كانت الأمور ستختلف لو كان يعرف؟

ولكنها فضلت أن تشيح بوجهها بعيدا عنه؛ خوفا من أن تفقد آخر أوهامها. لقد فقدت كل شيء وهي في السادسة عشرة من عمرها: والديها وهويتها وهو، والشيء الوحيد الذي جعلها تتماسك طوال كل تلك السنوات من الكابوس هو فكرة أنه سيعود إليها. كانت تريد أن تظن أن ذلك ما كان سيفعله لو عرف أنها لا تريد أن تصحو من حلمها.

كان أول رد فعل غريزي لـ"شيز" وهو يراها ترتجف بهذه الدرجة من العنف أمامه هو أن أخذ يربت على كتفيها. لقد أحس بمدى عمق عذابها وآلامها، وبدأ يفهم أنه كان السبب في ذلك. قال وهو يتحرق شوقا إلى أن يأخذها بين ذراعيه:

- "أني"! عندما أفقت وأنا في المستشفى أخبروني أنك قتلت. لم يكن في إمكاني أن أعرف... إنني لم أكن أتذكر شيئا.

فتحت عينيها على اتساعهما. إن شرحه يغرقها في قلق شديد غير

محدد. قال:

- أنا آسف.

ردت عليه:

- لا تأسف. إننا لا نستطيع أن نفعل شيئا حيال ذلك الآن.

مد لها يده وقال:

- ربما لو..

كانت في أقصى حالات اليأس.. إن ذلك كان ما تشتهيه وترغبه دائما.. ملجأ تحت حمايته ولكنها لم تعد تستطيع تقبل هذا العزاء والتسرية الآن. إن ذكريات سنوات الكابوس كانت حية ومؤلمة أكثر من اللازم، وإنها لن تستطيع أن تقاومها وتتناساها.

سألها "شيز" وهو يخطو خطوة نحوها:

- ما الذي لا يسير سيرا حسنا معك؟

قالت وهي تتراجع:

- لا.. يا "شيز"!

جاء الكلب ليقف بينهما وهو يزمجر. تردد "شيز" وهو مصعوق من المشهد الذي يجري أمامه، إن من يرى هذه المرأة يعتقد أن لديها خوفا مميتا منه، وكأنه وحش.. وها هو كلبه يسارع إلى نجدتها. أحس بأن موجة عارمة من الحزن تغمره. إن الأمر مثير للسخرية.. إنه بالضبط يرغب في مساعدتها.

- أرجوك يا "أني".. تعالي هنا.

هزت "أني" رأسها علامة النفي. قالت في نفسها: إنه لو قال لها هذه الكلمات منذ فترة قصيرة لسارعت إليه، وارتمت في أحضانه. ورغم أن

مشاعره حقيقية وكلامه أيضا إلا أن الأوان قد فات.

رفع "شيز" ذراعيه إلى السماء في يأس وقد بدا محطما.

- "أني"!

أحست بغصة في حلقها وقد اختنقت من الدموع والنشيج. حاول الكلب أن يدفعها نحو "شيز" ولكن لما لم تتحرك تركها لينضم إلى سيده. رأت الكلب يحتك بساقي "شيز" ثم يستدير نحوها وينظر إليها نظرات متقطعة قال "شيز" في حنان:

- "أني"! دعيني أساعدك.

عندما اقترب منها تحاشت النظر في عينيه، ليس لديها أي وسيلة لتحمي بها نفسها. لقد كان قويا جدا وهي ضعيفة للغاية لدرجة هشة وكم سيكون ممتعا أن تستسلم لضعفها، ولكن "أني" لا تستطيع أن تستقر على قرار. إن السؤال الأبدي لايزال يطاردها ويضطهدها ويجب أن تعرف الإجابة:

- هل كنت ستعود إلي لو عرفت؟

نظر في عينيها مباشرة وقال:

- نعم.

كان رده من القسوة بحيث ملأ قلب "أني" بالم ممض. كانت تريد أن تصدقه دون أي شك أو ريبة، ولكن ماذا لو كان غير صادق؟ ماذا لو اراد فقط أن يطمئنها، ويهدئ من روعها؟ لقد كانت تنتظر هذه اللحظة منذ وقت طويل لدرجة، لم تعد تعرف أين هي. نجحت أخيرا في أن تهمس بعد أن بذلت جهدا فوق طاقة البشر:

- شكرا

استسلمت لحنانه حيث لم يعد لديها ذرة من المقاومة، بعد كل ما مرت به. اغمض "شيز" عينيه وهو يشعر بالخوف من ان يكون استسلامها هو نتيجة ضعفها ويأسها. ومع ذلك هي في حاجة إليه وإلى حمايته لها وهذا هو كل ما يهمه في هذه الساعة.

أحست بانفاسها تزداد ثقلا وبطئا وبدا هو يستسلم لعواطفه ولكن صوت الصفير بداخله، أخذ يردد إن هذه ستكون آخر فرصة له قبل فوات الأوان، لينجو بجلده.. ولكنه تردد، الأمر الذي سيؤدي إلى هلاكه وضياعه.. كانت "آني ويلز" وهي قريبة منه إلى هذه الدرجة اكثر نساء العالم فتنة في نظره وأشدهن جاذبية، سألها:

- ما الذي تفعلينه يا "آني"؟ ما الذي توشكين ان تفعليه في؟

كان يحاول ان تبدو القسوة في صوته.. ردت :

- لا شيء يا "شيز".. لا شيء.

ولكن لم يكن ما تقوله صحيحا بالتاكيد.. لقد كانت أمامه فريسة هشة وضعيفة وهو متوحش، ويوشك أن يفترسها. إنه لا يذكر أبدا انه أحس بالإثارة إلى هذه الدرجة في حياته حتى وهو في سن المراهقة.

قالت له بصوت يشوبه رنة المداعبة:

- ربما كان من الأفضل ألا نفعل.

قال "شيز" حالما:

- ربما كان هذا هو الأفضل فعلا.

صاحت في فزع:

- هل تريد أن تتوقف وقد أوشكت أن تعترف لي بحبك باعتباري زوجتك؟

قال في نفسه: إنه ربما كان عليه هو أن يتوقف قبل فوات الأوان. ولكن لديه شعورا رهيبا بانه لو فعل لظل طوال حياته يشعر بالحرمان من فرصة السعادة مع هذه المرأة، التي كان واثقا بانه لن يلتقي بمثلها أبدا بعد ذلك إلى أن تنتهي أيامه في هذه الدنيا.

كان قلبه يدق بشدة وهو ممزق بين الرغبة والقلق. أحست "آني" باحمرار وجهها وهي تتأمل مدى رجولته وكأنها ترتكب خطيئة، ولكنها تذكرت أنها زوجته شرعا، وأن كل شيء مباح لها. سادها شعور غريب بانها قد تموت من شدة حبها له.. لقد سمعت عن نساء كثيرات في الغابة يمتن لأسباب متنوعة، ولكنها لم تسمع أبدا عن واحدة ماتت من شدة الحب. ومع ذلك غمرتها موجة من الخوف.. لقد ظلت مبهورة من مدى قوته الوحشية، وأحست بانها لو استسلمت لعواطفها العنيفة نحوه لأصبحت أيامها على ظهر الأرض معدودة.

فهم "شيز" أن من الواجب عليه أن يطمئنها، وأن عليها ألا تخشى الحب مع عملاق مثله. فجأة أحس بشعور مفاجئ بأن هذه المرأة التي أمامه لم يسبق لها أن مارست تجربة عاطفية وأنها لازالت عذراء وبريئة.. إنها لم تمارس الحب لا معه ولا مع غيره، نظر إليها في حنان شديد، وقد ساده خوف من انه كان من الممكن أن يحطمها لو تمادى في علاقته العاطفية معها. قال لها وهو شديد الدهشة:

- لماذا تركتني أعتقد يا "آني" أنك... لماذا لم تخبريني بالحقيقة؟

سألته في ذهول:

- ماذا؟

- إنك لم تقيمي أية علاقة مع أي رجل؟

أشاحت عنه بوجهها حتى تخفي الثورة العارمة من الغضب التي تصاعدت بداخلها، ثورة من خليط من الرغبة والحب والشعور بالذنب واليأس.

- وماذا يمكن أن تفعله هذه الحقيقة يا "شيز"؟ أنا هنا من أجلك.. أنا زوجتك وأحبك.

- ولكنك يا "آني" لازلت عذراء!

- وما أهمية ذلك؟ إننا متزوجان!

قرأ "شيز" في نظراتها أن الأوان فات وأن عليه أن يتوقف في الحال. لو استمر ثانية فإنه لن يستطيع أن يمنع الكارثة.

داعب وجهها في حنان ثم ابتعد عنها وارتجفت ولكنها لم تفعل أي شيء لتمنعه من الابتعاد عنها. نهض بعد دقائق قليلة من جوارها، ولم يقل أي كلمة وهو يتساءل ما الذي عليه أن يفعله؟ ولكنها هي التي قطعت جبل الصمت. قالت وهي تضع يدها على كتفه:

- نعم.. أنا عذراء ولم أمارس الحب أبدا ولم يلمسني أحد قبلك.

لم يلمسها أحد من قبل! يا إله السماوات! ما الذي سيفعله؟ إن "آني ويلز" ستتسبب بطريقة أو أخرى في هلاكه.. لقد أحس بذلك منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناه عليها ولا يوجد أي حل آخر.. لابد من الابتعاد عنها.. لابد من مغادرة هذا البيت.. ودون أن يضيع دقيقة واحدة.

الفصل الثامن

رحل "شيز" من يومين بعد أن تحولت لحظات السعادة بينه وبين "آني ويلز" إلى كارثة. فجاة جمع ملابسه. ثم ركب سيارته "البيك آب" العتيقة ماركة "فورد" التي تستخدم في المزارع في اداء كافة المهام من نقل المسافرين إلى حمل العلف والمؤونة.. إلى مطاردة اللصوص. لم يقل لها إلى أين هو ذاهب ولا حتى إن كان سيعود.

أحست "آني" بالذنب الشديد لدرجة أنها لم تستطع أن تقول أي كلمة لتمنعه من الرحيل. لقد خدعته وهذا أمر لا يمكن أن تنكره وكيف تنكره والدليل واضح لا يقبل الشك. ولكنها خدعته دون مكر أو سوء نية. إنها زوجته فعلا ورسميا وهي تتحرق شوقا لان تمارس حقها كزوجة. وتحس أيضا بانه يرغب في ذلك بكل جوارحه ولدرجة يجب أن تجعله

www.liilas.com

لا يعير أي انتباه لمسألة عذريتها. لقد كانت تتوقع أن يشعر الرجل بالفخر؛ لأن المرأة انتظرته طوال حياتها لتهبه نفسها دون غيره وفي هذا الزمن الذي انتشرت فيه الحرية العاطفية بدرجة شديدة، وأصبحت العلاقات بين الرجال والنساء في "أمريكا" و"أوروبا" سهلة ومتاحة مثل الماء والهواء. ولكن يبدو أن "شيز" ليس من النوع الذي يقدر للمرأة احتفاظها بفضليتها وألا تهب نفسها إلا لزوجها.

أحست "أني" برطوبة أنف الكلب "شادو" على خدها وضغطت يدها على ظهر الكلب الجالس بجوارها. لقد أصبح "شادو" أمين سرها الوحيد الذي تبثه لواعج قلبها وروحها. كانت لاتجد غضاضة في أن تحدثه وقد رأت دائما الوطنيين في "كوستاريكا" يفعلون ذلك دائما. بل لقد صارحت الكلب بادق أسرارها وأحلامها، خاصة الحلم الذي لم تكن تجرؤ على أن تفكر فيه لاستحالة تحقيقة؛ وهو أن ينتهي "شيز" إلى الاقتناع بانه مرتبط بها ولا يستطيع الفكاك من هذه الرابطة العاطفية الشديدة. سألت الكلب وهي تداعب طوقه:

- ما رأيك يا "شادو"؟ هل أعتبر قضيتي خاسرة؟

حدجها "شادو" بإحدى نظراته المليئة بالحزن والشجن والتي كان يتمتع بها دون غيره من الكلاب، بل نادرا ما كان يتمتع بها بعض الرجال.. مثل "شيز"!. رأت "أني" في تلك النظرات الحزينة ما يؤكد ظنونها، بل إنها كانت تعرف من قبل أن القضية خاسرة.. إن "شيز" يريد أن يخرجها من حياته. إن كل ما فعلته من أجل أن تجعله يقترب منها أدى إلى أن يبتعد عنها.

لم تكن "أني ويلز" من النوع الذي خلق ليعترف بالهزيمة، ولكن

الأهوال التي واجهتها في "كوستاريكا" جعلتها تعلم أن هذا السلوك لا يمكن أن يكون مطلقا وينطبق على كل الأمور. إن تمسكها بقضية ميؤوس منها يعني زيادة آلامها وتفاقمها.

هل حانت ساعة استسلامها؟ نهضت وهي فريسة حزن لا قرار له وجمعت أشياءها التي أحضرتها معها وهي تتساءل: ما الذي يمكن أن تفعله لو رحلت عن هذا المنزل والرجل!

ألقت نظرة أخيرة على المطبخ، وفكرت في الطريقة التي عبر فيها "شيز" لها عن عواطفه، لا شك أنه يحس بوجودها، ويشعر نحوها بالرغبة. ومالم تكن الرغبة هي التي قرأتها في عينيه فلابد أنها أعمق المشاعر الإنسانية التي تعتمل بداخله رغم مظهره القاسي والمتوحش. لقد تعرفت في عينيه على العاطفة والحاجة إلى الحنان والرغبة في إعطاء الحنان. قالت معلقة بصوت مرتفع:

- إن تصرفاته لا يمكن أن تكون تصرفات رجل غير مبال، ولكن بعد لحظات فهمت معنى الكلمات التي نطقتها آنفا. نعم إن الأمر كذلك.. إنه ليس غير مهتم بل العكس هو الصحيح. ولكنه يصارع عواطفه. وإذا كانت ردود أفعاله شديدة العمق والتركيز فهي دليل على عمق عواطفه، وأنه متمسك فعلا بها.

ولكنها عادت وتراجعت في الحال.. لا... لا... إنها تشعر بالقلق من العاصفة التي انطلقت من داخلها. إن ما تفكر فيه أمر أحمق فعلا، ومثير للسخرية. إنها تظن أن رغباتها هي حقائق واقعة.

حاولت أن تعيد بعض الترتيب إلى أفكارها، ولكنها كانت في حالة من الإثارة لدرجة جعلتها تعتبر كل دلائل رغباته، ورغباتها الخاصة

إنما هي تاكيد لحلمها المجنون: إن "شيز" يحبها ويريدها. بدأت الأمور تبدو أكثر وضوحا. إن سلوك "شيز" الغريب والشاذ وغير المألوف والمتطرف أصبح مفهوما على ضوء إلهامها وفلسفتها للأمور، ربما أيضا هرب لأنه كان يخشى عنف عواطفه.. يا إلهي! هل هذا ممكن؟ هل يمكن أن يكون قد وقع صريع حبها؟ هل يمكن أن يكون "شيز بودين" عاشقا؟

فجأة فكرت في ياس.. إن هذا سيحدث لو استطاعت الأبقار تسلق الأشجار. ولكن الأمل استبعاد مكانه عندها في الحال. تساءلت أليس من المحتمل أن يكون مسلكه العنيف دليلا على مدى ارتباطه بها، وأنه اتخذه ليخفي ذلك؟ ثم أليس من المحتمل أن تكون تقلباته المزاجية وعنفه وقسوته انعكاسا لعنف الصراع الدائر بداخله؟

لو كان الأمر صحيحا ولو أن مسلكه البغيض هو أعراض لعواطفه الحقيقية؟ فلابد أن الرجل عاشق حقا.. قليلا لا.. بل كثيرا، بل لدرجة الجنون نفسه.

لو كانت على حق وأن كل خلية في جسدها تقول لها: إنها غير مخطئة في ظنها، فلم يبق أمامها الآن سوى أن تعثر على طريقة تجعل "شيز" يفهم ذلك. لابد أن تساعده على الاعتراف بما بدأت تراه واضحا.

###

جلس "شيز" في المشرب، وقد كز على فكيه، وأصبح وجهه جامدا كالخشب. طلب شرابا مقويا مضاعفا، وأشار إلى الساقي لكي يدعه في حاله.

جاءت ساقية ذات شعر أسود فاحم وانزلقت لتجلس بجواره وقد

أسندت ذقنها على راحة يدها وقد بدا عليها ما يشبه الابتسامة، وإن كانت تنقصها الصدق.

نظر إليها "شيز"، ولكنه لم يقل شيئا يشجعها على مواصلة الحديث والسمر. لقد حضر إلى هذا المكان هربا من النساء ومن تدخلهن فيما لا يعنيهن. احتسى كأسه مرة واحدة.

النساء! إنهن يأخذن سيارات الرجال ليملأن البيوت بالزخرفة الكاذبة، إنهن يتدخلن في خصوصيات الرجال ويسببن المتاعب لأنفسهن ويسرقن حب كلابهم لهن، وفوق ذلك هن غير قادرات على ترك الأمور على ما هي عليه. إنهن لابد أن يلمسن كل شيء ويقلبن التوازن الطبيعي للأمور. قال موجها الحديث إلى الساقية:

- إن النساء على وشك أن يخلقن فصيلة مهددة بالانقراض.. الرجال.

- أرجو المعذرة. لست أفهم ماذا تعني؟

ظل "شيز" مثبتا نظراته على كأسه، همهمت الساقية:

- هل رأيت هذا؟

استدار نحوها ليلقي نظرة ليست بدافع الفضول وإنما بغرض أن يلزمها الصمت. رأى نصف دستة من رعاة البقر من المنطقة يحيطون بشاب لم تنبت له لحية. ووجهه ملطخ وفمه مليء بالتبغ المضغوط. ساله واحد من مسببي الشغب والعراك:

- هيا يا صغير، هل انت واثق بانك كبير بدرجة تسمح لك بوضع قدميك في هذا المشرب؟

هز الشاب رأسه علامة الإيجاب، ثم بصق على الأرض بطريقة

متعالية جعلت الهمس يسري بين رواد المقهى.

- هيا يا صغير... الا تريد ان تبدأ؟

قام الصبي بالبصق إلى مسافة أبعد نالت استحسان الجمهور، وقد أحدث ضجة مقززة، اقترح أحدهم ان يقدم له جعة أو مشروبا مقويا.

اقتربت الساقية من دائرة رعاة البقر قالت وهي تحدج الشاب بإمعان:

- أراهن انك تستطيع ان تفعل أحسن. اليس كذلك يا راعي البقر؟

ابتلع الصبي ريقه بصعوبة وشحب وجهه. ساله أحد الرجال فإن من الواضح انه سائق شاحنة نقل الماشية:

- الم تسمع الآنسة؟ الم يعلموك الأدب؟ لقد طلبت منك ان تعيد الكرة.

قاطعه رجل آخر:

- افسحوا لي الطريق.. أراهن انني استطيع ان افعل أحسن منه هيا اطردوه للخارج!

ضاقت الدائرة حول الصبي عندما صاح أحدهم من أقصى المشرب:

- اسمعوا أيها الرجال.. قبل ان تنفذوا اسالوه أولا إن كان صبيا ام فتاة.

لا يمكن ان يتصور الإنسان ان هناك إهانة أسوأ من ذلك. فكر "شيز" انه سيحظى برؤية شجار ضخم ومثير.. كان قد بدأ يتنبه إلى ما يحدث. من الغريب ان الصبي كان يذكره بشيء ما. وكلما أمعن في تأمله ساده اعتقاد بانه سبق ان راه. استند "شيز" على مائدة البوفيه وقد بدا نافد الصبر ومتلهفا لمعرفة ماذا سيفعل الصبي ليخرج من هذا المازق السيئ.

بصق الصبي بقوة ونشاط شديدين وكانه يطلق صاروخا. المزعج انه وجد عقبة في طريقه. راعي بقر من المزرعة المجاورة قال الرجل وهو يمسك به من سترته من الخلف، بينما مد رجل آخر يده نحو سلاحه، ولكنه ما إن تحرك حتى سمعت لطمة صامتة، وانزلقت المدية من بين أصابعه. استدار كل الزبائن كرجل واحد نحو "شيز بودين" الذي كان يعيد سوطه إلى مكانه دون ان يطرف له رمش. قال موجها الحديث إلى رعاة البقر:

- لقد تمت تسوية الأمر. والآن عندي كلمتان اقولهما لهذا المعتوه.

سال أحد رعاة البقر وقد بدا عليه الغضب وسيجاره بين شفتيه.

- وما شانك انت لتتدخل؟

طرقع سوط "شيز" ثانية وقطع السيجار من على بعد سنتيمتر من شفتي راعي البقر وقال:

- لدي حساب أريد تصفيته مع هذا الصبي هل لديك مانع؟

ساد الصمت التام بين الجميع. طرقع سوط "شيز" مرة أخيرة وأحاطه بوسط الصبي ثم جذبه نحوه دون اي صعوبة. وقال له بصوت منخفض:

- أتعشم ان يكون لديك سبب وجيه لتقديم هذه النمرة الاستعراضية يا صغير! لأنها لا تعجبني على الإطلاق.

مسح "شيز" القاعة بعينيه وهو يحسب عدد الفرص المتاحة للخروج من المشرب دون أن يتسبب في انفجار فوضى عامة.

قال أحد رعاة البقر أخيرا:

- أقسم انني سبق ان رأيته. إذا كان هذا الصبي رجلا فإنني أريد

إذن أن اكون ملكة "سبا".

قال "شيز" لـ"آني":

- هيا بنا.. سنرحل. افضل ان نترك هذا المكان قبل أن يحاول هؤلاء المتوحشون أن يحولوك إلى مسخة يلهون بها.

احبت "آني" بالتاكيد ان تنفذ اوامره حرفيا، لا شك أن الضيق بلغ به حدا يجعله على استعداد لخنقها بيديه العاريتين، ولكن همه الوحيد في تلك اللحظة هو -دون شك- الخروج من هذا المازق السخيف.

ظل "شيز" صامتا ولم يقرر أن يفتح فمه إلا بعد أن غادرا البلدة. قال لها بصوت بارد كالثلج:

- إنني احس بفضول أن اعرف لماذا فعلت هذا وما الذي دفعك لأن تبحثي عني في هذا الجحر؟

كان من الواضح أن اللحظة ليست مناسبة لأن تقول له: إنها تتفهم تقلباته المزاجية، وسلوكه المبالغ فيه والغريب، وإنه مجنون بحبها، وقد فضلت أن تقدم له اسبابا أخرى، وإن فهمت أنها حقيقية وهي تخترعها.

- لقد قلقت عليك.. واردت أن اطلب منك أن تسامحني؛ لأنني جعلتك تعتقد أننا سبق أن مارسنا حياتنا الزوجية الطبيعية.

قال لها بصوت حاد وقاطع وهو يحدجها:

- كفي!

كان "شيز" يتلهف لأن يطرح عليها أسئلة، وأن يسالها من أين واتتها الشجاعة لكي تفعل مثل تلك الأشياء، ومن علمها الخداع والتنكر؟ ولكن الذي كان يريد أن يعرفه قبل اي شيء هو كيف أمكنها أن تسبب له كل

هذا الخوف؟ إنها جعلته يكفر عن كل الخطايا التي سبق له أن ارتكبها، إنها تطلب عفوه! كم سيكون ممتعا لو شاهدها تزحف على ركبتيها طالبة العفو منه. ولكن عليه أن يحذر؛ فإنها لا تكف عن اختراع الحكايات!

تحملت "آني" صمته في الم شديد، وترددت في استئناف الحديث، ولكنها تتحرق شوقا لمعرفة ماذا يدور في رأسه؟... هل يخطط للانتقام منها؟ إن ثورة غضبه تذكرها بخطب ومواعظ الأخت "ماريا انوسينتا" كبيرة الراهبات في الدير في "كوسهتاريكا" حول إنكار الذات وكبح الشهوات والتوبة.

كانت "آني" تجد صعوبة في فهم معنى كبح الشهوات في الممارسة الدينية، ولكنها بدأت تستشف ماذا يمكن أن يعني كبح الشهوات في العلاقة بين الرجال والنساء.. يبدو انه مكتوب عليهما هي و"شيز" أن يمرا بتجربة كبح الشهوات. قالت له أخيرا. وهي تتعمد الا ترفع عينيها نحوه:

- ما الذي تدبره في رأسك؟

- بالنسبة لموضوعك؟ لست أدري بعد. وطالما لم يستقر رايي، فإنني افضل أن تمتنعي عن أن تقدمي لي أي اقتراحات او إيماءات. إنني اتحرق شوقا لأن احبسك مقيدة اليدين والقدمين في مخزن الغلال، حتى اضعك في حالة تمنعك من مضايقتي، وإحداث المتاعب الدائمة لي. أنت لا تعرفين مدى شوقي لتحقيق ذلك!

قالت له بصوت شبه مسموع:

- إنك لن تفعل شيئا من هذا!

كانت تعلم أن "شيز" يحدجها. وهي منكسة الرأس، ولكن ذلك لم يعد يهمها فقد تعودت على ذلك كثيرا وهي في السجن. إنها لن تجعله ينفذ تهديده، لن تسمح له بذلك أبدا.

عندما وجدت أخيرا الشجاعة للكلام أضافت بصوت مرتجف:

- إذا كنت قد سببت لك أذى فإن ذلك لسبب وجيه. أنا لم أرغب أبدا في أن أجرحك بل العكس هو الصحيح. لقد أردت أن أساعدك، أردت فقط أن أضيف بعض البهجة على حياتك.

- إذن سأطلب منك معروفا يا آنسة! انسي هذا! إن تعاستي في كل ما تفعلينه.

عندما لمحت "آني" مدى وحشية نظرته لم تعد تشك في أنه سيحرقها حية، بين لحظة وأخرى. أو ربما سينحرف بالسيارة لينتقلا معا إلى العالم الآخر.

أغمضت عينيها، وأخذت تدعو السماء في سرها، معجزة فقط هي القادرة على إنقاذها. لم يسبق لـ"آني" أن أحست بطول الرحلة مثلما تحس الآن.

أوقف "شيز" السيارة وقفز في الحال منها تاركا إياها على مقعدها، وهي تتأمل الموقف قررت أن تضع مسافة بينهما وأن تدع الأمور تهدأ، ولكن فيما بعد عندما وضعت قدميها على الأرض، وجدت مفاجأة عندما شاهدت دستة من الرجال فوق الجياد يتجهون نحو البيت تتقدمهم فرقة من كلاب الصيد.

أحدث جري الجياد ضجة أخرجت "شيز" من منزله واتجه نحو السيارة "البيك آب". قال وهو يشير لـ"آني" أن تظل في السيارة وأن

تختفي قدر المستطاع:

- يبدو هذا وكأنه مطاردة لرجل.

أخذ بندقيته من فوق الأريكة الخلفية للسيارة "البيك آب" وانتظر صاح أحد الرجال:

- امتط جوادك يا "شيز".. لقد هرب أحد المساجين.

سأل "شيز" المأمور الذي كان يتقدم العديد من رعاة البقر من المزارع المجاورة:

- ومن هو؟

أجاب المأمور وهو يقفز بجواده إلى داخل تحويطة الخيل:

- إنه "جاك لابواز".. من المستحيل معرفة كيف تمكن من ذلك. ولكنه عقد صداقة مع أحد مساعدي وهم يصحبونه للمحكمة.

قال "شيز" بصوت متهكم وهو يفكر في الوقت الذي طارده فيه ووضع القيود في يديه:

- لقد أدار الحظ ظهره لـ"جاك". على ما يبدو لقد أيقن سارق الماشية من أنه لا أمل في إصلاحه فضلا عن غبائه. لم تكن هذه أول مرات هروبه.

سأل المأمور:

- هل لديك فكرة عن الوجهة التي اتجه إليها؟

حك رجل القانون جبينه مفكرا:

- لقد تفقدنا آثاره في ضواحي "بيج ووش" ومن الواضح أنه يتجه نحو الحدود. لقد فكرنا أنك ربما تود أن تكون من رجالنا مادمت أنت أول من قبض عليه.

لم يكن "شيز" يامل احسن من ذلك. إن رائحة الجياد الثائرة والجلد المغطى بالعرق تسحره. ولكن مطاردة الرجال عادة ما تستمر عدة أيام وهو لا يستطيع أن يترك "آني" بمفردها كل تلك الفترة. وهو لا يتصور ايضا أن هذه الكارثة المتحركة وما يمكن أن تفعله وأمامها أيام طويلة.

قال للمأمور:

- انا آسف.. ليس هذه المرة.. لدي أمور لابد أن أسويها.. ولكن كلابك يمكنها الاستغناء عني وستنجح في المهمة بدوني.. ستحصل عليه!

قال الرجل وهو يشير لرجاله:

- كما تحب. ولكن هذا سيئ بالنسبة لك.

ابتعد الفريق أمام نظرات "شيز".. كم كان يحب أن يكون من ضمنهم ولكن هناك أمرا آخر يزعجه ويقض مضجعه. إنه لا يستطيع أن يكف عن التفكير في أن هناك خطا ما في خطتهم الإستراتيجية. إنهم يتبعون طريقا خطا.

كانت "آني" تنتظر في السيارة حتى تبتعد ضجة فرقة المطاردة ثم برزت براسها وسألته:

- هل رحلوا؟

أجابها "شيز":

- لقد رحلوا من فترة.. اخرجي!

ما إن همت بان تتحرك حتى فتح باب السيارة، ثم مد لها يده ليساعدها على الهبوط منها، ولكن من مظهره الشارد شعرت بانه بعيد يفكر في مكان آخر.

سألته:

-ماذا هناك؟

- لست أدري كثيرا.. لدي إحساس بان "جاك لابواز" قد خدعهم. في آخر مرة حاصرته فيها وقبضت عليه كان مختبئا في بئر منجم قديم ومهجور. ولدي شعور بانه عاد إليه ثانية.

- وماذا سيفعل بذهابه إلى هناك؟

- أريد حقا أن أعرف ذلك. ولكن ذلك ليس سوى شك مبهم.. مالم يكن قد دفن فيه شيئا ما.

قالت "آني":

- إن الأحاسيس الداخلية لها أهمية. ربما كان من الأفضل لو ذهبت إلى هناك لتلقي نظرة.

- واتركك هنا؟ بمفردك تماما؟ لا تفكري في ذلك يا آنسة!

أحست "آني" بشبه ارتياح من لهجة الحنان التي في كلامه.. حنان! ربما كانت الكلمة وصفا مبالغا فيه، ولكن على الاقل فإن نبرة الغضب اختفت من صوته. قالت له في لهجة تحد وإثارة:

- إذا كان يزعجك حقا أن تتركني بمفردي، فليس أمامك سوى أن تصحبني معك.

عندما حدجها "شيز" في غيظ سارعت بأن أضافت في لهجة مصالحة:

- ولكن هذا فقط إذا كنت تظن أنه من المهم تسليم "جاك لابواز" لايدي العدالة.

نظر إليها في ارتياب وقال:

- أصحبك معي؟

- إنني لن أتدخل في شيء.. وهذا أمر طبيعي تقتضيه الحاجة. أنا لن أقول أي كلمة إذا كان هذا يسعدك.. ولا كلمة واحدة!

نزع "شيز" قبعة رعاة البقر العريضة وأخذ يمرر أصابعه في شعره، وكأنه يجد صعوبة في اتخاذ القرار.

ثم تجهم وجهه واتجه نحو إسطبل الخيل.

صاحت وراءه:

- ما الذي تفعله يا "شيز"؟

- سأقوم بسرج الجياد.. خذي كيس النوم من الحقيبة الخلفية للسيارة وما يكفي من مؤونة لمدة يومين.

أغمضت "آني" عينيها وأخذت تدعو السماء حمدا وشكرا، وقالت بصوت منخفض:

- ها هي قد حدثت... معجزتي!

الفصل التاسع

كانت السماء مرصعة بالنجوم، وكان ضوء القمر الشاحب يتسلل في خجل وسط أوراق الأشجار السامقة الفاخرة. وبعد رحلة فوق الجياد قرر "شيز" أن يدع سكينة الليل تفعل سحرها. لم يكن واثقا بأنه كان على حق في اصطحابه "آني ويلز"، وتوريطها في هذه المغامرة، ولكن فكرة أن يتركها بمفردها كانت لا تحتمل. لم يكن لدى "شيز" أية نية في أن يتركها وحيدة في بيته، وسجين هارب يتجول في الجوار. وماذا يمكن أن يحدث لو قرر "چاك لابواز" أن يقوم بزيارة للرجل الذي ألقى به في غياهب السجن؟ سألها وهو يلقي عليها نظرة من فوق كتفه:

- هل كل شيء على ما يرام؟

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

أجابته وقد أدهشها سؤاله:

- كل شيء على ما يرام.

أضاءت ابتسامة خفيفة وجهه، وكأنه أدرك إلى أي مدى لم تكن معتادة على أن يوليها انتباهه ورعايته. كم من السهل إسعاد شخص لا يملك شيئا!

بعد لحظات دفعه إحساس غريب إلى أن يلتفت وراءه مرة ثانية. عبرت ذهنه صورة متهربة، صورة امرأة أخرى صغيرة في السن وشبه صبية، وقد فتحت عينيها على اتساعهما من الرعب، وقد تغير فمها في صرخة لقد انمحت الصورة قبل أن يستشف تفاصيل أخرى، ولكنه تعرف على "آني ويلز" وهي في السادسة عشرة من سنها. بذل جهدا جبارا ليتذكر، ولكن ذهنه انتزعه من الماضي ليعيده إلى الواقع.. إلى "آني ويلز" التي يعرفها الآن، وتتبعه فوق صهوة الجواد.

سألته وهي تقترب بجوادها من جواده:

- هل هناك ما لا يسير سيرا حسنا؟

- لا.. لدي إحساس بأنني تذكرت شيئا ما.

- بشأني؟

كانت نبرة صوتها قد مست شغاف قلبه مباشرة، ولكن ما أحس به أزعجه كثيرا حتى إنه لم يعد يرغب في أن تطارده بالأسئلة الملحة كعادتها.

- لا... وإنما بشأن شخص آخر.

أفلتت آهة من فم "آني" دليلا على اليأس، فهم "شيز" أن كرامتها جرحت. أبطأت من خطوات جوادها وكان على "شيز" أن يبذل جهدا

جبارا حتى يلتزم الصمت. وكلما تقدما في رحلتهما زاد الصمت ثقلا. لقد كانت حاجته لأن يشرح ويسري عنها أقوى مما كان يريد أن يقذف به، وكان يقطع سكون الليل من حين لآخر صرخات الوحوش الحادة. بعد نصف ساعة وصلا. كان من الواضح أن بئر المنجم كان مهجورا، ولكن الغريب أن إحساس "شيز" الداخلي كان أقوى من أي وقت مضى.

نظرت "آني" إلى السماء المرصعة بالنجوم بهدوء مدهش، وفي كل مرة كان يلقي فيها نظرة عليها كان يفكر في الفتاة الشابة المرعوبة التي كانت تظهر من حين لآخر في ذاكرته، وتغلب فضوله عليه. إن مساعديه لم يستطيعا أن يخبراه بأي شيء؛ لأنهما لم يكونا معه عندما عثر هو عليها، كانت "آني" هي الوحيدة التي تعرف تفاصيل ما حدث. قال لها أخيرا بصوت هادئ:

- أخبريني عن "كوستاريكا".

التفتت إليه في دهشة واضحة:

- ما الذي تريد أن تعرفه؟

- أين عثرت عليك؟ وكيف جرحت؟ كل شيء.

كانت "آني" قد حكت له من قبل الرواية كلها في أول يوم، وأحست باليأس من أن تستطيع إقناعه بصدقها. لم يكن وقتها يرغب في أن يعرف شيئا. ولكن من الواضح أنه الآن على استعداد للإنصات إليها. اعترفت:

- كان من الممكن أن أكون ميتة لولا حضورك.

حاولت أن تتحدث بصوت رزين قدر المستطاع، وهي تحكي عن الدير، وكيف تعرض لوابل من القذائف الصاروخية بواسطة المتمردين

www.rewity.com

لقد اختفت في كنيسة الدير عندما اكتشف مكانها أحد المتمردين، ورفع سلاحه نحوها ليصرعها، كان الرجل يوجه مسدسه نحوها إلا انه انتزع منه بعد أن سمعت حفيفا خفيفا لقد جرد "شيز" الرجل من سلاحه بواسطة السوط.

شرحت وهي تحكي عن العراك الذي جرى بينه وبين المتمرد. والذي انتهى بموت الأخير وإصابة "شيز" بجرح:

- لقد أخرج الرجل مديته.

من حسن الحظ أن الجرح لم يكن خطيرا، وكانت "آني" تعرف من الطب ما أمكنها من إيقاف النزيف. كان "شيز" يلتهمها بعينه وهي تحكي كيف سارا على قدميهما ساعات نحو قرية أخرى؛ ليعثرا على القس، ولكن الجرح كان قد تلوث. قال لها وهو يحاول أن يتأكد من معلوماته:

- لقد انتفخت ساقي.. لقد كان بها التهاب وخراج.

قالت "آني" وقد تملكها فجأة أمل مجنون:

- إنك تتذكر! أليس كذلك؟

- لست أدري جيدا أي جزء من الذكريات ولا كيف تختلط الذكرى مع ما تحكينه ولكن هذا يجعلني أشعر بشعور غريب.

- هل تذكر عندما أصبت بالحمى، وبدأت تهذي؟

لو تذكر فإنه -لاشك - سيتذكر أيضا أنها احتضنته لتهدئ من روعه وهذيانه. هل سيتذكر أنها أنقذت حياته؟

هز رأسه ببطء نفيا:

- لا.. إنني لا أتذكر..

بدت "آني" محبطة، ولكنها تماسكت في الحال. فكرت أن الأمر رائع. إنه بدأ يسترد ذاكرته وحالا سيتذكر كل شيء.

سألها:

- أنت لم تحكي لي عن البقية.. عن الزواج، وحادثة السيارة. أعلم أن الأخوات الصالحات هن اللاتي أنقذنك من سجنك، وأعطينك ملاذا آمنا، ولكنك لم تحكي لي كيف غادرت البلاد.

- هذا أيضا كان بفضل الأخوات الصالحات، لقد بحثن عن طريقة لمساعدتي في إثبات أنني أمريكية الجنسية، ولكن الأمر أصبح خطيرا جدا. لقد كانت البلاد باستمرار على شفا حرب مدنية، وكانت القنصلية محاصرة، وكان الأجانب وخاصة الأمريكيين في غير أمان، ولكن الأخوات لم يعجزن عن المساعدة. لقد حشرنني في مقطورة شاحنة تنقل الكاكاو.

ارتسمت ابتسامة على وجهها:

- لقد كان كابوسا حقيقيا. لقد كنت مهددة بالشرطة السرية ورجال العصابات المسلحة ورجال خفر السواحل والحدود، وأوشكت أن أسقط أكثر من مرة.

تنهد "شيز" وهمهم في حزن:

- لقد عانيت الأهوال وأنا كنت أظن أنني عشت حياة تعسة!

دهشت "آني" أمام المرارة الواضحة في كلامه قالت له:

- أعتقد أنني عانيت كل محن العالم.. ومن الصعب أن يكبر الإنسان وسطها.

ثم فكرت فيما قاله "شيز" لها عن والديه.

www.rewity.com

- لقد أخبرتني أن والدك كان مدمنا للشراب، أليس كذلك؟

ظل "شيز" مثبتا عينيه على فتحة المنجم، وكأنه يتساءل إن كان الأمر يستحق أن يستعيد أشباح الماضي الرهيبة. لم تقل "آني" كلمة واحدة بعد أن قررت أن تحترم خصوصيته. في كل مرة حاولت أن تنتزع سرا منه كان يزداد تقوقعا على نفسه.. بدا عنيدا وقاتما. قال أخيرا:

- لقد كان كلاهما يحتسيان الشراب.. لقد كان الرجل العجوز دائما في ثورة، وكانت أمي كلما رفعت صوتها كان يضربها بقسوة، ثم كفت عن الشكوى، ومن يومها لم أرها إلا والكأس في يدها.

- لابد أنه كان من المؤلم أن تشاهد ذلك.

- يمكنك أن تقولي هذا.. لقد بذلت كل ما في وسعي لأمنعهما، ولكن في كل مرة كان الأمر ينقلب ضدي. ولقد مرت بي أيام كنت أتساءل: هل أنا صبي أم حقيبة تدريب الملاكمين؟، وانتهى بي الأمر إلى أن هربت وأنا في سن الثانية عشرة، وتشردت في الشوارع، وفي سن الثامنة عشرة انخرطت في سلك البحرية.

فكرت "آني" في المحن التي لاقاها الرجل حتى يستطيع أن يبقى على قيد الحياة.. لقد نالت هي أيضا نصيبها من المحن، ولكن على الأقل كانت محاطة بأشخاص اهتموا بها، وهو مالم يعرفه أبدا. لقد كان عليه أن يواجه الحياة بمفرده تماما.

أخذت "آني" تتأمل وجهه الذي يشبه وجه الذئب الوحيد، وعادت إليها الذكرى. كان أثناء هذيانه قد انفعل غضبا ضد والده، كان قد صرخ: ستقتلين ذلك السافل الوغد، ثم انطلق في حكاية لا أول لها ولا آخر، والشيء الوحيد الذي فهمته منها أنه خلال جدالهما الذي استمر

ساعات أدى إلى انفصال والده عن أمه، الأمر الذي جعل أمه تثور وتضربه بيد المكنسة. وجرحته مما اضطر الجراح لعمل ثلاث غرز كما كسرت له ثلاثة أضلاع.

وجدت "آني" صعوبة في تصور أن هناك والدين يستطيعان أن يمزقا ابنهما، الأمر الذي جعلها تحس بغصة في فمها. أرادت أن تقول له شيئا ولكن الانفعال منعها. إنها على أية حال ندمت؛ لأنها تدخلت في حياته وخصوصيته، إنها لم تفكر إلا في نفسها، وهي الآن تفهم لماذا غضب غضبا عارما عندما حولت منزله إلى ما يشبه دار الأسرة. إن ذلك لابد أن ذكره بوالديه وحياته كطفل شهيد التعذيب. قالت له وهي تدعو السماء أن تساعدها على إيجاد الكلمات المناسبة:

- إنني نادمة من أعماق قلبي يا "شيز"؛ لأنني خلقت لك كل هذه المشاكل. ولو كنت أعلم لما لمست هذا المنزل أبدا. وعندما تعود ساعيد كل شيء إلى سابق عهده.

قال لها بصوت شبه رقيق:

- انسي الأمر؛ لقد ظننت أنك تفعلين الصواب والخير، والباقي لا أهمية له. ليس من حقي أن ألومك على شيء يا "آني" لقد عدت إلي؛ لأنه ليس لك أي مكان تذهبين إليه.

حاولت "آني" أن تتكلم ولكن الكلمات لم ترد الخروج من فمها. إنها لم تكن تتوقع على الإطلاق تعاطفا من جانبه. قالت أخيرا بصوت مرتجف:

- الحق معك.. لقد كنت ساتي إليك على أية حال.. إنني لم أستطع أن أنساك يا "شيز". لقد وصلت في الوقت الذي فقدت فيه كل شيء. لقد غامرت بحياتك من أجلي، واعتقد أنني وقعت صريعة هواك في الحال.

انت تعلم أن ذلك يحدث للفتيات الصغيرات كالصاعقة أمام فارس الأحلام.. هل فهمتني؟

قال مؤكدا وهو ينظر ثانية لمدخل المنجم:

- إن معظم الفتيات الصغيرات ينتهي بهم الأمر إلى العودة إلى حياتهن الطبيعية، ويشفين من الحب العارض.

أضافت قائلة:

- المصيبة أنني لم أبرأ من حبك أبدا.

استدار نحوها فجاة والتعب باد في عينيه:

- كفي يا "أني"! لا تقولي أشياء سنندم عليها -نحن الاثنين- فيما بعد.

ولكن الأوان فات، فإن "أني" لم تعد قادرة على التوقف قالت:

- أنا أحبك يا "شيز"، ولا أستطيع أن أفعل شيئا حيال هذا الحب.

انتبه "شيز" وهمهم ببضع كلمات من الصعب سماعها، ولكن "أني" لم تكن في حاجة للإنصات؛ لأنها كانت تعرف أنها ارتكبت خطأ آخر، وأنها تمادت أكثر من اللازم، وأنها أشعرته بالخوف. أخذت تتأمل في إعجاب ظهره القوي، وهي تردد اسمه همسا، وتتمنى عفوه عنها وقد كرهت نفسها لما فعلته.. أليس لديها أي شعور بالكرامة؟

اتجهت ناحية الأشجار التي ربطا بها جواديهما وعيناها كانتا مبللتين بالدموع. لقد أيقنت أن الحياة دائما لا تقدم لها هدايا.

ما إن استردت أنفاسها بطريقة طبيعية حتى سمعت صوت تحطم الأوراق الجافة وراء ظهرها، وسمعته يناديها:

- "أني"!

أغمضت عينيها فقالت وهي تتذكر نفس كلماته السابقة:

- لننس هذا! ليست لدي رغبة في أن أتكلم ولا أن..

- بحق السماء دعيني أتكلم، دعيني على الأقل أعتذر. أنا آسف يا "أني"، لقد تركت نفسي للغضب وأنا لا أحب المفاجآت. أنا لم أحب ذلك أبدا.. هل فهمتني؟

لمس شعرها.. وأكمل:

- لست أدري ماذا أقول يا "أني". أنا لا أريد أن أسبب لك المزيد من الضرر بعد الآن. أنا لا أريد أن أستغل الفرصة.

زفرت وهي عاجزة عن منع نشيجها ونحيبها:

- أوه، يا "شيز"! ولكن لماذا إذن؟ لماذا؟ تنتهز الفرصة؟ أنت لا تستطيع أن تؤلمني إلا الآن.

حدق فيها "شيز" غير مصدق.. تنتهز فرصة ماذا؟ ما الذي تتحدث عنه؟ حدثته قائلة:

- قل شيئا يا "شيز" من فضلك.

رفع رأسها حتى يرى وجهها أفضل.. كان مثل وجه الملاك البريء

- حسنا يا آنسة.. سأفعل شيئا.

سألته في لهفة:

- أحقا ما تقول؟ ستفعله؟ أوه يا "شيز" من فضلك.. بسرعة قبل أن تغير رأيك.

قال وهو يقترب منها في حنان:

- أنت فتاة لحوح فعلا.

كان كل منهما يتحرق شوقا لأن يعبر للآخر عن مدى حبه ولهفته ورغبته نحو الآخر. قال لها:

- لا يا آنسة.. ليس بهذه السرعة.. عندما نتصارح بالحب يجب أن يتم ذلك بالطريقة الصحيحة وفي ظروف مواتية، وليس تحت أي ضغط وانفعال، لابد أن آخذ كفايتي من الوقت حتى تصبحي ملكي كلية قلبا وقالبا، وأن يصبح حبنا جنونا مطبقا.

قالت وهي تتعلق برقبته:

- أعتقد أنني أصبحت فعلا مجنونة بحبك، أغرقتهما موجة من جنون الحب ونسيا العالم و"جاك لابواز" الذي لو أطل برأسه في تلك اللحظات لتمتع بمنظر العاشقين.

إن "أني" لم تعد تصدق ما يحدث لها، لم تكن تتوقع كل هذه السعادة بعد طول المعاناة والمحن التي لاقتها في حياتها والصد والقسوة من "شيز" كلما حاولت أن تقنعه بانها زوجته الشرعية وحبيبته. إنها كانت في قرارة نفسها مقتنعة بانه يحبها بجنون يدفعه إلى تصرفات غير معقولة عكس التصرفات المطلوب أن يفعلها الرجل العاشق، ولكنها كانت مؤمنة بان اللحظة ستاتي ليكتشف بنفسه هذه الحقيقة: حقيقة انه يحبها بجنون، ويشتهي أن يبادلها الحب كزوجين عاشقين حرما من الحياة الزوجية خمس سنوات طوال.

ولكنها لم تكن تؤمن بان النتيجة ستكون بهذه السرعة والروعة.. إنها مذهولة مما حدث ومذهولة من صدق حدسها من انه في يوم من الأيام سيظهر لها حبه المجنون.

لقد نسيا -في لحظات الحب- صراعهما وكذبتها عندما ادعت أنها

عاشت معه حياة زوجية كاملة قبل الحادثة بعد أن زوجهما القس، ونسيا المهمة الأساسية التي أتيا من اجلها بعد أن قطعا كل هذا الطريق ليقبض "شيز" على "جاك لابواز" في المنجم القديم المهجور. أخذت تردد من فرط سعادتها:

- أنا لم أعد أتحمل يا "شيز"، إنني احترق وأموت، افعل شيئا لإنقاذي.

قال وهو يربت في حنان على شعرها الأحمر ويحاول الا يحطم جسدها الهش لو اقترب منها بجسده العملاق الصخري:

- سافعل أي شيء لإنقاذك يا حبيبتي ساثبت لك مدى حبي.

- أوه يا "شيز" أنت تقتلني.. إنني لم أعد أتحمل، إن هذه السعادة تقتلني!

- إننا لم نصل إلى السعادة بعد، ولكننا سنصل يا صغيرتي.. نعم نصل لقمة السعادة، ولكن في الوقت المناسب.

انتهى رأيها إلى أن هذا الرجل خلق ليرضي المرأة ويمتعها. اقتنعت "أني" بانها لا يمكن أن تجد السعادة مع أي رجل غير هذا الرجل "شيز بودين"!

تساءلت كيف جاءت عليها لحظات من اليأس وكانت ستتركه.. كيف كانت ستعيش، وتعرف مثل هذه السعادة السماوية، ثم إلى أين كان بإمكانها أن تذهب؟ ليس لها أي مكان في الدنيا إلا في بيت "شيز". وهي لم تندم لأنه لم يكن لها أي ملجا اخر، وإلا لما عرفت السعادة لو هجرته. لقد أرادت الأقدار لها ان تكون بلا مأوى حتى تضطر لأن تتحمل قسوة "شيز" إلى ان يلين ويقع في حبها. سألها وهو في قمة

السعادة عندما انهارت كل مقاومته وعناده الرجولي وباح لها بحبه الحقيقي وبحقيقة ما يشعر به نحوها.

- ما رأيك الآن؟

- إنها أوقات رائعة.. إنها لحظات لن أنساها. لقد تمكنت السعادة من أن تمحو من ذاكرتي كل ألوان العذاب، والمحن التي عانيت منها، ولم يعد لي في الحياة سوى أمل واحد: أن أنهل من بئر الحب إلى أن أرتوي.. ولن أرتوي على ما أظن. نعم إنني أحب ما أعيشه الآن معك.

- لقد مضى أسوأ ما يمكن أن يحدث لك في حياتك، والآن حان الوقت لتلتئم جراحك.

كان دافئ الكلام والنفس، والصوت يصدر من أعماق قلبه.

- أعتقد أننا وصلنا إلى قمة السعادة يا عروستي، لقد أدركت ذلك وعرفت كم هو رائع أن يحب الإنسان ويتلقى الحب.

أحست "آني" بأنها ارتوت من نهر الحب، وأحست بالرضا عن حياتها، وأحست بالضعف الشديد بعد كل ما بذلته من جهد، ومن طول الأمل الذي تحقق أخيرا. قالت له معترفة:

- لقد كنت رائعا في اعترافك بالحب، ولم أكن أظن أنك رقيق العواطف إلى هذه الدرجة.

- وأنت رقيقة وفاتنة يا "آني ويلز".

الفصل العاشر

كانت "آني" نائمة.. لقد مرت ساعات طويلة منذ أن اعترف لها "شيز" بحبه، وعبر لها عن عواطفه الحقيقية نحوها..

بدأ "شيز" يلاحظ تباشير الفجر خلف التلال. لم يغمض عينيه طوال الليل. ولم تكن إثارته وقلقه يدوران حول "چاك لابواز". إن السارق لم يظهر له وجه حتى الآن. لقد انخدع "شيز". ولكن لا أهمية لهذا على الإطلاق.

إن أمامه الآن مشكلة أكثر حدة وألما.. امرأة حمراء الشعر تربت على يد الأخوات الصالحات في الدير في "كوستاريكا". أصبحت الآن امرأته. كان يعرف أن تبادل الحب معها سيغير كل شيء وقد فعل.

ظل على مر الساعات يجتر تبعات عمله، الذي اندفع دون شك فيه

www.rewity.com مروية

بدافع العاطفة. إنه لم يتماسك، كان كل شيء يدفعه للاستسلام لغريزته وأحاسيسه الداخلية.. ولكن ما معنى ذلك؟

حتى لو اقنع نفسه بان اعترافه بالحب وتبادله معها كان وليد لحظة من السعادة المشتركة إلا انه كان يعرف تماما انها ترى الأمور غير ما يراها، إنها تحبه بصدق وعنف، وليست على استعداد لأن تتنازل عن حبها بعد ما حدث.

لا شك في انها -في هذه اللحظات- تحلم بثوب الزفاف، وشهر العسل. ولا شك في انها تحلم ايضا بان تنجب له العديد من الأطفال.

خرج "شيز" من كيس النوم الخاص به، وأخذ يسير على قدمين حافيتين، حتى قمة التل وهو يلقي في طريقه نظرة على المنجم المهجور، فكر في الارتباط والزواج والأطفال وكلها امور مترابطة.

ولكن "شيز" لا يريد ارتباطات من اي نوع. لقد كان والداه مرتبطين بالزواج، وربما كان الحب يربطهما في البداية، ثم حلت محل ذلك الكراهية والحقد. لقد رأى بنفسه كيف تدهورت علاقتهما، وأصبحت غير طبيعية وانتهى الأمر بان خنقا كل ما كان جميلا بينهما.

وإذا كان قد اقسم على شيء ما فهو إنه لن يرتبط ابدا باي شخص. لأنه في الارتباط العاطفي دائما يوجد شخص يتعذب.

اصبحت كل مشكلته الآن هي إقناع "اني" وحسب ما يعرفه عنها فإنها سترفض دون شك، أن تعتقد انها لم تقع على شخص يشاركها حياتها. كانت تعتقد في ذهنها تماما انها تستطيع الوصول إلى اي شيء بقليل من الصبر. لا شك أن كل الأقوال الحكيمة التي كانت تعرفها أخرجتها من الكثير من المازق، وهو ليس الشخص الذي يريد

ان يحطم اوهامها بعد العاصفة والرعد والبرق..

ارتجف وهو يامل أن تكون رجفته من البرد وهو يعلم جيدا أن البرد ليس السبب، إنه كان يرتجف دائما من تلك الاماكن المفتوحة التي تنمي الأمل لدى الناس.. إنها تعد المرء بان يرى "قوس قزح"، ولكن ذلك لا يتحقق ابدا.

- ما الذي تفعله يا "شيز"؟

استدار "شيز"، ليس في الحال وإنما ببطء، لم تكن لديه اية رغبة في إن تقرا افكاره. إن ما تنتظره منه مستحيل أن يتحقق.

تصلب فكه وهو يتساءل: ما الذي يمكنه أن يقوله لها حقا، ولكنه لم يجد الوقت الكافي ليعثر على الكلمات؛ لأنه سرعان ما وجدها إلى جواره، سالته، وهي لاهثة الأنفاس:

- ماذا هناك يا "شيز"؟ هل هو اللص؟

هز راسه نفيا دون أن ينظر إليها.

- إذن ما الذي لا يسير على ما يرام؟

- كومة من الأشياء يا "اني".. كومة من الأشياء.

استدار نحوها وهو يستعد لأن يقدم لها جرعة تمهيديه للجرح الذي سيسببه لها. فكر في الياس.. لابد ان يضفي الياس على عينيه.. فجاة اصبح جمالها فاتنا سالته:

- هل انت نادم لأنك اعترفت بحبي؟

- "اني"...!

تعثرت الكلمات في فمه. إنه يعرف ان كلماته لن تضيء عينيها، ولكنه نطقها على اية حال

- سابذل كل مافي طاقتي لتعثري على جنسيتك الأمريكية إذا كان هذا ما تريدينه.. إن لي اتصالات. بل إنني على استعداد لأن أقسم على ذلك لو اقتضى الأمر ذلك.

- تقسم؟

- سأطلب من مساعدي أن يشهدا على ذلك.

- ولكننا متزوجان يا "شيز"! فلماذا تريد أن تقسم؟

أشاح بعينيه حتى لا يراها مجروحة وقال:

- إن هذا لن ينجح يا "أني".

- ما الذي لن ينجح؟ نحن؟

ثم خفضت من صوتها واستطردت:

- إذا أردت التراجع فلا بأس.. إن الأمور يمكن أن تسير.. بعد القليل الذي منحته لي.

- يا إلهي! ألا تحاولين أن تفهمي؟ أنا لا أجد أي رغبة في الزواج وليست لدي نية للزواج على الإطلاق. ليس معك ولا مع أي امرأة أخرى. ليست لدي أي رغبة في المرأة ولا أي ستائر صفراء في المطبخ!

بدلا من أن يرى الدموع في عينيها رأى تعبيرا لم يسبق له أن عرفه أبدا من قبل. كانت تحدجه في ذهول وغير تصديق، وكأنها في حضور وحش خرافي.

- هل تعتبر حبي لك قليلا؟ وأنني كنت عاشقة لك منذ لقائنا الأول في "كوستاريكا"؟ أليس لكل هذا أي أهمية؟

- بل له كل الأهمية يا "أني"... وكيف تشكين في ذلك؟ ولهذا السبب يجب قطع العلاقة في الحال. أنا لا أستطيع أن أدعك تعتقدين أن هناك

مستقبلا أمامنا معا. لقد حان الوقت للانتهاء من ذلك.

قالت له -وقد أصبح صوتها بعيدا فجاة وكأنها تتحدث مع نفسها:

- يمكننا ألا نظل متزوجين، يمكننا الطلاق بعد الاعتراف بجنسيتي الأمريكية.

استدار نحوها:

- ولكن يا "أني" إن الزواج الذي تم في "كوستاريكا" كان الملجأ الحتمي الإجباري؛ لأنه لم يكن هناك أي حل آخر... وحتى إن كان الزواج قد تم فإنه لا قيمة له، وحتى إن كانت له قيمة فلابد من إلغائه.

ترنحت "أني".. كان الحصى يمزق قدميها الحافيتين، ولكن الألم لم يكن يقارن بالحقيقة البشعة التي ألقى بها في وجهها.

إنه لا يحبها. لقد غامر بحياته لينقذها، بل إنه تزوجها ولكنه لم يحبها أبدا. وهو لن يحبها على الإطلاق.

كانت العاصفة تعتمل بشدة في راسها. لقد تصورت ملايين الطرق لتقول له: إنه ليس سوى إنسان أناني قذر وفاسد، وإنه محروم من كل ما هو طيب في الحياة، ولكن نظراته الشاردة الغائبة كانت تعني أن كل ما ستقوله لن يغير من الأمور شيئا.

وانغلق الباب ربما كانت على حق قبل كل شيء. إنه غير قادر على الحب، الأمر بالنسبة لها في هذه الساعة سيان، ولم يعد لها سوى رغبة واحدة وهي الابتعاد عنه، لقد كان وجوده مؤلما لها جدا، ومجرد فكرة أنه يمكن أن يساعدها أصبحت ممقوتة وكريهة، ولكنها ستهتم بذلك فيما بعد.

حاليا إنها في حاجة للابتعاد عنه. قالت في تلعثم:

- أنا يا "شيز"..

أسكتها "شيز" بحركة من يده. اختنقت الكلمات في حلقها عندما فهمت أنه لايريد منها أن تصمت عن عمد عندما همس وهو يميل نحو بئر المنجم:

- هناك شخص ما.. لا أستطيع أن أراه ولكن لابد أنه "چاك لابواز".

- أنا يا "شيز".

- صه.. ليس الآن. ليس هذا من الحكمة والحرص ربما كان مسلحا.

جذبها نحوه. أغمضت "آني" عينيها، إنها لا تصدق أنها ملتصقة به، ولكنها تحررت بعنف منه رافضة الاستسلام لمشاعرها.

- أرجوك يا "آني".. لا ترتكبي حماقات. ابقي هنا. طالما لا أعرف من هو تحت فإننا لن نكون في أمان أنا وانت.

أخرج سلاحه أمام أنظار "آني" وما إن اختفى حتى تملك الخوف "آني". ما الذي سيحدث لو وقع له حادث ما؟ إنه يخاطر بأن يصاب.

اهتز كل جسدها من الارتجاف والنشيج. إنه يلقي بها كورقة مهملة، والآن يطلب منها أن تنتظره دون أن تقوم بأي حركة! لا يمكن أن تقبل ذلك، لا يوجد امرأة تصاب بالمرض خوفا وقلقا على رجل انتزع قلبها لتوه. لا. يجب على أية حال أن تبالغ في انفعالها! من يظنها؟

إنها قبل كل شيء تريد أن تنطلق بعيدا عنه.. حلت رباط الجواد وانطلقت في طريقها.

###

عندما شاهدت "آني" البيت، لم تستطع أن تمنع دموعها من الانهمار فوق خديها في حين أنها شعرت بالارتياح والخلاص. كان أول شيء

تنوي أن تفعله هو أن تأخذ حماما طويلا وساخنا ليعيد إليها نشاطها. ربما ستعيد التفكير بعد ذلك فيما ستفعله في بقية حياتها.

ولكنها ما إن دفعت الباب لتفتحه حتى أحست بأن هناك شيئا ما مريبا قد حدث، ورغم الصمت التام الذي ران على المكان، هناك شيء ما يقول لها: إنها ليست بمفردها. ارتجفت وتحشرج صوتها في حلقها وهي تسأل في قلق وخوف:

- هل هناك أحد هنا؟ من هناك؟

- كنت ساطرح عليك نفس السؤال.

كان صوت الرجل خشنا وقاسيا للغاية، حتى إن فرائصها ارتعدت، وأحست بالثلج يسري في أوصالها حتى النخاع. استدارت ولمحت شبح الدخيل الغامض وسط العتمة. لقد كان في مثل ضخامة "شيز".. لقد كانت له هيئة حيوان كبير الحجم، أو إنسان لم يعرف المدنية وكانه عاش حياته كلها في الأحراش. قال لها الرجل بلهجته الفظة:

- أين هو "شيز بودين"؟ وماذا تفعلين هنا؟

فهمت "آني" في الحال. انه اللص الذي يطارده الجميع "چاك لابواز"! ردت عليه بعد فترة.. وهي تحاول أن تكتسب وقتا:

- "شيز" ليس هنا.

رات نفسها الآن رهينة.. سالها الرجل:

- أين هو؟

قالت بهدوء مصطنع:

- لست أدري. لقد رحل.. هذا كل ما أعرفه وهو لن يعود قبل عدة أيام على ما أظن.

ألقت نظرة على الحجرة فسألها الهارب وهو يشير إلى الباب:

- هل هناك أحد آخر؟

ردت عليه "آني" بصوت ثابت أملاه عليها الخطر المحدق بها، وقد اقتنعت بأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تواجه بها هذا الوحش.

- لا.. لا يوجد أحد.

حدجها الرجل طويلا في قسوة لا تطاق. ثم دفعها نحو الحجرة قائلا بلهجة آمرة:

- هيا لنتحقق.. أنت أولا.

كررت عليه:

- لا يوجد أحد... لقد رحل.

سألها -وقد لمح الباب السري داخل الحجرة-:

- ما هذا؟

- لا شيء.. إنه باب خفي.

- افتحيه!

دخلت "آني" النفق والرجل يسير خلفها خطوة بخطوة دون أن ينطق بكلمة، وعندما وصلا إلى الكهف أطلقت صرخة، وانتهزت تأثير المفاجأة عليه لتدفعه داخل النفق، سمعته وهو يتحسس طريقه وقد ركع على ركبتيه ثم تبع ذلك صوت سقوطه في الهوة. أعادت إضاءة الكشاف الذي يعمل بالبطارية الذي سبق أن استخدمه "شيز" عندما حاول إنقاذها، ثم اقتربت من فتحة الهوة بكل حذر.

كان المنظر الذي رأته مثيرا للضحك الشديد. جلس ضحيتها وسط الطين وهو يدعك ركبتيه وقد بدا مثل قط متوحش، أو فهد مفترس سألته -وهي تكتم ضحكتها-:

- من أنت؟ "جاك لابواز"؟

ضاقت عيناه، ونظر إليها، وقد خف رعبه بعض الشيء وقال:

- عادة ما يكون حظي أفضل. ولكن لا.. لست "لابواز" الذي تدعينه.. أنا "جوني ستارهوك" صديق قديم لـ"شيز".

- تقول من أنت؟

وقعت "آني" تحت تأثير الصدمة.. إن هذا مستحيل لقد رأته في "كوستاريكا". وكان يبدو عليه أنه من أصل هندي أمريكي، وقال عنه "شيز" إنه محام مشهور.

وجهت الكشاف الضوئي نحو وجهه. مرت بذهنها فكرة كريهة، وفكرت. وهي تبتسم:

- ياله من حيوان فاخر، ولسوء الحظ أنها عاشقة لرجل آخر. بدأت "آني" تشرح وهي تتلعثم.

- ربما كان علي أن أقدم لك تفسيرات. ألا أذكرك بشيء ما؟

وجهت كشاف الإضاءة نحو وجهها فقال لها:

- لو أخرجتني من هذا الجحر فإنني ساكون في حالة أفضل تسمح لي بإدراك من أنت

- إن "شيز" لديه سلم من الحبال. ولكني لا أعرف حقا أين وضعه.

- اللعنة.. يا لسوء الحظ.. أتقولين إنه سبق لنا أن التقينا.

- نعم. في "كوستاريكا" وأستطيع أن أخبرك كيف تم ذلك.

- هيا قصي!

***

عندما انتهت "آني" من حكايتها نهض "جوني" واقفا على قدميه كان

موزعا بين الشعور بعدم التصديق لما يسمعه، والشعور بالسعادة.

سالته -وهي تشعر بالإحباط وخيبة الأمل-:

- أنت لا تتذكرني.. أليس كذلك؟

- إن لدي إحساسا بانني أمام شخص عاد إلى الحياة بعد الموت. إذن أنت تلك الصبية التي تزوجها "شيز"؟ "آني".. هل هذا كان اسمك؟

لم تستطع "آني" أن تمنع دموعها الغزيرة من الانسياب فوق وجنتيها. إن هذا الرجل الضخم الجثة الذي لا يقل قوة ولا ملاحة عن "شيز بودين"، والمحاصر الآن في هوة الطين هو أول شخص يتعرف عليها ويعترف بصحة زواجها من "شيز"، بل لقد قال اسمها. قالت من بين نشيجها:

- نعم.. إنها أنا "آني ويلز"! سامحني! لقد خشيت الا تتذكر، إن كل الناس نسوني. لقد اعتقد "شيز" انني مت من سنوات.

- لابد أن الخبر نزل عليه نزول الصاعقة.

- آه.. عليك أن تقول هذا فعلا.

اطلقت "آني" زفرة طويلة ثم قالت له:

- ولكن "شيز" لا يتذكرني ولا يتذكر ما حدث بيننا.. إنه يريد إلغاء عقد زواجنا.

- وانت لا تريدين ذلك.. أليس كذلك؟

قالت معترفة -وقد زاد نشيجها قوة-:

- أنا أحبه.. أعتقد أن هذا واضح، أليس كذلك؟

- بلى هذا واضح يا "آني". في كل مرة تنطقين فيها اسمه يظن المرء انك تتلين صلاة.. هيا احكي لي ما الذي حدث.

انطلقت "آني" في سرد حكايتها الحزينة وانهت الحكاية أمام نظرات "جوني" المذهولة قائلة:

- أنا كارثة حقيقية. هذا ما يقوله هو.

قال "جوني" -وهو يتساءل في نفسه كيف يمكن لرجل أن يقاوم هذه المرأة الطفلة، والألم الذي يقرؤه في عينيها الزرقاوين-:

- إنني لن أضع يدي في النار لو كنت مكانه مادام مقتنعا بانك كارثة حقيقية. ولكن لابد انه مجنون إذا رفض نعمة حبك وسيكون له معي حديث طويل.

نظرت إليه في دهشة:

- ماذا تقصد؟

- أنا لا أعدك بشيء ولكن لدي خطة صغيرة في رأسي أحتفظ بها لنفسي.

www.rewity.com

الفصل الحادي عشر

- حركة واحدة وتصبح رجلا ميتا!

القى "شيز" نظرة من فوق كتفه ثم تردد فترة قبل أن يجيب:

- أنت لم تكن أبدا قناصا ماهرا يا "چاك".

- ألق بسوطك أرضا يا "شيز بودين"!

فتح "شيز" يده، وترك السوط ينزلق للأرض ساله "چاك لابواز".

- كيف خمنت أن لدي مخبا في المنجم القديم؟

- إنه الإلهام يا "چاك".. الإلهام! أتعرف ما هو؟

ثم إنني تذكرت في المرة الأخيرة التي وضعت فيها يدي عليك أنك كنت مغطى بالطين، واستنتجت من ذلك أنك كنت تحفر بئرا عميقة في الأرض، وأنك كنت تبحث عن شيء ما، وأنك ستعود مرة ثانية إلى نفس المكان إذا أتيحت لك فرصة الهرب..

إن هذا هو الذكاء يا "چاك" وأنت طبعا محروم من الذكاء، لأنك تجسد

الغباء الشديد وكل الناس يعرفون ذلك فيما عداك أنت؛ لأنك تظن نفسك ماكرا وذكيا.

- أنت ماكر جدا يا "شيز"، ولهذا السبب علي أن أفعل شيئا أشعر بالندم عليه من الآن. سأضع رصاصة في مخك؛ فقد يهدئ ذلك من ذكائك بعض الشيء.

- ربما كان "چاك" محدود الذكاء حقا، ولكنه لن يتردد لحظة في ارتكاب جريمة قتل بأعصاب باردة، باعتباره مجرما بالطبيعة، والجميع يعلمون ذلك بما فيهم "شيز" طبعا.

- هل تعلم ماذا ينتظرك يا "چاك" لو أنك أضفت جريمة القتل إلى خطاياك التي لا تعد ولا تحصى؟

- هذا يعتمد على وجهة النظر الخاصة بكل منا، ليست لدي أي نية في أن يتم القبض علي هل فهمت؟ لقد بدأ الكيل يطفح بي.

فجأة أحس "شيز" بعدم رغبته على الإطلاق في أن يموت وأنه يريد أن يستمر متمتعا بالحياة.. لقد كان المستقبل ممهدا أمامه تماما.. وقدره الذي ينتظره في البيت اسمه "آني"!

"آني"؟ هل بسببها يريد أن يستمر على قيد الحياة؟، من أجل تلك المرأة التي حولت حياته إلى جحيم؟، المرأة التي تجري المصائب والكوارث في دمائها، ولا تتنفس إلا المحن والمشاكل؟، ولكن عليه أن يقنع نفسه بالعكس، وأن يتقبلها رغم أن كل ما فيها يدعوه إلى كرهها.

إن كل شيء يقوده الآن إلى مصيره المحتوم معها. ربما كانت "آني ويلز" لا تحتمل، ولكنه لا يتحمل أبدا فكرة ألا يراها مرة ثانية.

قال "چاك لابواز" في ضجر:

- هل تسمعني يا "شيز بودين"؟

أحس "شيز" بماسورة المدفع الرشاش في عنقه. إنه في لمح البصر

www.rewity.com

يمكن أن يسقط صريعا على الأرض، حتى قبل أن يفتح فمه. فجاة سقط على الأرض، والتقط سوطه، ولفه حول ساقي "چاك" الذي فقد توازنه، وانهار مثل قطعة خشب أفسدها السوس صاح في لهجة انتصار:

- هذا هو العمل الحق يا "چاك"، يجب أن احطمك قطعا.. يجب أن أفرغ بندقيتك في رأسك الخاوي، ولكن الرجل الذي أمامك يا "چاك" أمامه المستقبل كله؛ وهذا هو السبب الوحيد الذي يدفعني لأن أبقي على حياتك التي لا تساوي شيئا.

###

- أين أنت يا "آني"؟

لقد اختفى جوادي.. ربما عادت إلى البيت أو أنها تاهت وسط التلال.

بدأ "شيز" رحلته و"شادو" في أعقابه.

في المنزل لم يعثر "شيز" على أي أثر لها، جره "شادو" إلى حجرته. صاح "شيز" في هلع وهو يرى باب الحجرة السري مفتوحا لا يمكن أن يحدث الأمر مرتين.. ألم تسمع تلك المراة الرهيبة المثل الذي يقول: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين..

ذهب يبحث عن كشاف ضوء يعمل بالبطارية في المطبخ، ثم توغل في النفق. صاح -وهو يقترب من الهوة-:

- "آني" هل أنت بخير!

عندما وجه ضوء الكشاف نحوها وجدها تبتسم ابتسامة عريضة، وقالت:

- "شيز"؟ هل عدت؟... متى عدت؟ أنا و"چوني" كنا فقط.

ثم أضافت -بعد لحظات من التوقف-:

- هل أنت بخير؟

تردد لحظات قبل أن يفهم ماذا تعني، سألها:

- "چوني"؟ "چوني" من؟

- أنا هنا أيها العجوز!

- "ستارهوك"!

أوشك الكشاف الضوئي أن يفلت من يد "شيز"، وهو يحاول البحث عن وجه صديقه القديم.

- "ستارهوك"؟، ولكن ما الذي تصنعه عندك؟ ومعها؟

شرحت "آني":

- لقد سقط في الهوة.. إن الأمر يطول شرحه، ولكني أردت أن أساعده وأخرجه من الهوة فسقطت بدوري..

قاطعها "شيز" قائلا:

- دقيقة واحدة... سأذهب لأحصل على السلم المصنوع من الحبال.

رد عليه "چوني":

- الأمر لا يستدعي العجلة. لقد اكتشفنا أنا و"آني" أن بيننا أمورا كثيرة مشتركة.

ساله "شيز"، في ارتياب:

- ماذا يعني هذا الذي تقوله؟

- لا داعي للثورة.. إنها تحب الطعام المليء بالتوابل، وأنا كذلك. هذا كل ما هناك.

- هل أنت واثق بان هذا كل ما هناك؟

- آه.. نعم.. إننا نحب أيضا أفلام الغرب، ورعاة البقر.. أليس هذا صحيحا يا "آني"؟ ثم...

- ثم ماذا؟

صاحت "آني":

- "شيز" هل قررت أن تخرجنا من هنا أم لا؟

- ليس قبل أن أحصل على الإجابة.. وماذا بعد؟

- هل أنت واثق بأنك تريد الإجابة يا "بودين"؟

- هيا انطقها يا "ستارهوك".

- حسنا يا راعي البقر.. لقد جلبته على نفسك، إن صغيرتك "آني" تعشق الهنود الحمر، إن الأنسة المحترمة لديها ذوق رائع حقا. وإذا لم تتزوجها فإنني سافعل. هل رأيت عينيها؟ إنهما مذهلتان! لم يسبق لي أن رأيت عينين في مثل زرقتهما.

- لاتتعب نفسك فقد لاحظت ذلك بنفسي، ولكن أعتقد أنك نسيت شيئا يا "جوني".

كان يتحدث بصوت معسول ماكر:

- إننا متزوجان فعلا!

لم يستطع "ستارهوك" أن يخفي ابتسامته العريضة التي ملأت وجهه. قال:

- هل نسيت أنني محام؟ لقد قمت بإلغاء العديد من الزيجات.

- لقد فات الأوان أيها العجوز.. لقد تم زواجنا رسميا بالأمس.

صاحت "آني":

- "شيز"! ألا تعتبر أن الأمر بيننا شخصي جدا؟ هيا أخرجنا من هنا!

- ذهب "شيز" لإحضار السلم المصنوع من الحبال، ولكن ما إن أتم عملية إخراجهما من الحفرة بعد جهد حتى أراد أن يستأنف حديثه مع صديقه القديم "جوني"، ومساعده السابق. قال "جوني" له:

- أنت متزوج؟ كم أحب أن أرى ذلك يحدث. أنت عاجز على أن تسعد

أي امرأة!

حبست "آني" أنفاسها.. لقد شاهدته يقتل رجلا في "كوستاريكا"، ولكنها لم تره أبدا وقد امتلأت نظراته بكل هذه الكراهية، أصابها الهلع، وارتجفت وصاحت:

- لا!.. هذا يكفي.. أنتما الاثنان! أنا لن أتزوج أيا منكما.. أليس هذا واضحا؟

###

فتح "شيز" الباب وخرج وقد تبعه "جوني" خطوة بخطوة، سألته "آني":

- هاي! أين أنت ذاهب؟

- سأجري رهانا مع هذا الخبيث لأحدد مصيره.

- حسنا جدا.. سأتي معكما.. ربما تحتاجان إلى يد المساعدة..

قهقه الرجلان عاليا وكل منهما يضرب الآخر على ظهره.

تضايقت "آني"، وعادت إلى البيت، وشاهدت سوط "شيز" في أحد الأركان، وتساءلت إن كان أحد قد استعمله معه. صاحت تناديه:

- "شيز"!

رد عليها. وقد لمح السوط في يدها!

- "آني"؟ ما الذي تصنعينه؟

قالت -وهي تحرك السوط في كل اتجاه-:

- سافعل ما يجب علي أن افعله. لا تتحرك يا راعي البقر! أنت لن تذهب إلى أي مكان بدوني.

أخذت تلوح بالسوط وكان لديها نية استعماله. قال "جوني" بصوت ممطوط:

- يبدو أنها جادة.

www.rewity.com مـــروريـــة

- كوني عاقلة يا "آني".. إن تحت يدي لص ماشية تعود على الهروب.

- لا.. إن عندك زوجة، وهي موجودة هنا. إن لصك الخبيث يمكنه أن ينتظر.

تدخل مساعده "چوني" قائلا.. وقد أصابه الهلع:

- "بودين"! أنت لم تقل لي إنها تستطيع استخدام السوط! إنني انهار.

لم تدع "آني" نفسها تنخدع بالمجاملة الصادرة من مساعد "شيز"، وصديقه العجوز، استدارت نحو "چوني" وقالت له -بصوت رقيق ولكنه حازم:

- كم هو رائع أن القاك بعد كل تلك السنوات، ولكن أرجوك أن تتركنا.. هل هذا ممكن؟ إن لدينا أنا و"شيز" كلمتين نتبادلهما.

- ابتسم "شيز". بدت مثل "كلامتي جيني" الشهيرة في أحد أيامها العصيبة ومزاجها العكر.

قال لها أخيرا. وهو يهم بالخطو نحوها:

- ضعي هذا جانبا يا "آني" فقد تتسببين في إصابة أحد..

لم تعطه الفرصة ليكمل عبارته وطرقعت السوط فانتزعت قبعته العريضة الخاصة برعاة البقر.

همهم "چوني":

- اللعنة!

ظل "شيز" مسمرا في مكانه، كان من الممكن أن تتسبب في خلع إحدى عينيه! كان يصارع ثورة الغضب العارم التي انطلقت بداخله، ولكن الأمر كان أقوى منه.. لقد بدت فاتنة، إنه لم يسبق له أن رأى امرأة في جاذبيتها وانوثتها العارمة.

قال "شيز" موجها الحديث لمساعده القديم:

- هل يمكنك أن تعنى بـ"چاك لابواز"؟ إن أمامي امرأة في حاجة إلي.

همهم "چوني".. وهو يصعد إلى سيارته:

- حسنا! حسنا! سأذهب إلى الفندق، وإذا احتجت إلي فما عليك إلا أن تشير.

ثم استدار نحو "آني" وقال:

- كوني لطيفة معه يا "آني"، فهو على أية حال زوجك المسكين.

ابتعدت السيارة "البيك أب" القديمة الخاصة بـ"شيز" وقد أثارت عاصفة من الغبار العالي والكثيف. قالت "آني" لـ"شيز":

- إنني أمنعك من الاقتراب مني مادمت لم تجب على سؤالي.

- ولكن يا "آني" أنت تعرفين جيدا أنني لا أهتم باللصوص!، وأنت تعرفين أيضا أنك الشيء الوحيد المهم عندي يا ملاكي!، إن رغبتي الوحيدة هي أن أسعدك.

- كف يا "شيز" أرجوك.. أرجوك. إنني أنتظر تفسيرا، أريد أن أعرف لماذا ذهبت وقصصت كل شيء على "جوني".. إننا متزوجان، وإننا عشنا حياة زوجية كاملة.

- حسنا جدا.. نحن متزوجان!

عندما أدرك ما يزعجها اتسعت ابتسامته.

- أنت تعرفين أن حبنا اكتمل الليلة الماضية، وانني لن أنساها أبد الدهر يا "آني".

كان يحاول إثارتها، وذكرها بكل اللحظات السعيدة في الليلة الماضية: أول ليلة حب حقيقي في حياتهما الزوجية. كانت تحس بقسوته رغم رقة كلامه.

سألته بصوت حازم:

www.rewity.com

- اشرح لي يا "بودين"! في الليلة الماضية لم تكن تريد أن تسمع شيئا عن الزواج والأمومة والستائر الصفراء على نوافذ المطبخ.. هل تذكر هذا أم نسيته؟

أخذ "شيز" نفسا عميقا حتى يحتفظ بسيطرته على الموقف ثم قال:

- لقد قلت: إنني أحترم الزواج إذا كان هذا ما تريدين، وسأذهب إلى مكتب الهجرة، وأقول لهم إنني تزوجتك في "أمريكا" الوسطى، إن الأمر رسمي يا "آني" أنت زوجتي شرعا، إنه أمر شرعي ورسمي.

- اسمع يا "شيز"! إنني لا أنتظر منك تضحيات، لقد كان باستطاعتي أن أقبل هذا العرض في أول ليلة، ولكني لا أريد ذلك الآن. لقد حدثت أمور كثيرة من وقتها.

كان "شيز" موزعا بين الضحك والدموع من سخرية الموقف الكبيرة. لقد وقع في الليلة الماضية أولا تحت تأثير الحب، وثانيا لأنه كان قد أوشك على الموت.

لقد انفتح قلبه لها؛ لأنه تعلم كيف يعرفها على حقيقتها. قال لها، بعد صمت طويل كان خلاله شاردا:

- أنا لا أضحي بشيء يا "آني".. لا شيء على الإطلاق نحن متزوجان وهذا بالضبط ما أتمناه.

- أنت؟ ولماذا؟

هذا هو السؤال! لقد كان هو و"آني" طرفين متضادين. ولكنه تعلم.. تعلم أن يخسر المعركة، ليربح الحرب كلها في النهاية. لقد تعلم حب المرأة.

قال لها:

- أنا أجد صعوبة في العثور على الكلمات المناسبة للتعبير عما يدور في روحي. أعلم أن المرأة تحب أن تسمع من فم الرجل أنه مجنون

بحبها، وأنه لا يستطيع الحياة بدونها. كل ذلك صحيح في حالتي، ولكن ليس هذا هو السبب الحقيقي. إن الأمر أكثر بساطة جدا، وليس شاعريا.

أطلق زفرة قوية، وهو يحاول أن يعثر على الكلام، ليعرف شيئا لا يجد له تعريفا، ثم استأنف قائلا:

- إنني أحس بأنني أفضل وأنا بجوارك يا "آني" يا ملاكي.. هذا كل ما هناك، أعرف أن من الصعب تصديق ذلك عندما أتذكر كيف كان تصرفي في الأيام الماضية، ولكن الأمر هكذا ببساطة.. أنا لم يسبق لي أبدا أن أحسست بما أحسه الآن معك.

تقطع صوته، صاحت "آني" في لهفة:

- "شيز"!

- أنا أحبك يا "آني".

ولكن "آني" كانت تحت تأثير صدمة رهيبة، وقد فقدت توازنها، لا تستطيع أن تأتي بأي حركة أو تنطق بكلمة. كان لديها شعور بأن شعاعا يفصل بينهما، ومع ذلك هما قريبان من بعضهما بعضا بشدة.

لقد انتظرت وقتا طويلا حتى إنها وصلت إلى حالة جعلتها لا تصدق ما حدث. قال لها -وهو يمد لها يده-:

- تعالي يا "آني".

غشيت الدموع عينيها أمام نبرة صوته الدافئة. إنها ستكون له.. ليس أمامها أي خيار. لم يعد هناك أي شيء يمكن أن يفرق بينهما. إنه يمتلكها روحا وجسدا.

زفرت وهي فريسة خوف لا مبرر له، ولا تعرف له تفسيرا:

- يا إلهي! أوه يا "شيز"!

كانت مشلولة وكأنها مسمرة في مكانها، ودت لو طارت إليه ولكن

ساقيها ثقلتا وكان وزنهما أطنان ولم تطاوعاها. فجأة أحست بأنه قريب منها. ألقت بذراعيها حول عنقه، وهي تهمس في نفسها:

- لقد أتى إلي.. لقد أتى إلي بمحض إرادته.

قال لها في حنان:

- هل ترغبين في أن تصبحي زوجتي يا "آني"؟ هل تريدين الزواج بي؟ مرة ثانية؟

الفصل الثاني عشر

كان الوقت صيفا والجو حارا والشمس ساطعة، كان الوقت المناسب للاحتفال بالطبيعة على ضفة النهر، أو زواج الرجل من حلم حياته..

اختارت "آني" الحل الثاني، وهو الزواج من حلم حياتها..

لم يسبق لها أبدا أن كانت في مثل هذا الجمال. كان ثوب الزفاف مصنوعا من الحرير الأبيض، فأظهر جمال رقبتها العاجية، وكتفيها المستديرتين وبشرتها في بياض اللبن ونعومته .

كانت مشرقة كالشمس الساطعة تشع ضوءا، وبهاء فيما حولها، وتضفي جوا من المرح، والسعادة على كل شيء. توجت شعرها بإكليل من زهور السوسن الطبيعية البرية، كان شعرها بلون النحاس مما أعطاها صورة الجنية في الأساطير.

وكان "شيز" قد اختار سترة من جلد "الشامواه" مفصلة على طراز ملابس رعاة البقر، وقد اشترى لهذه المناسبة قبعة رعاة بقر عريضة

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

الحافة سوداء. ألقت ظلا على عينيه، وفي الجمع الصغير الذي احتشد بمناسبة الزفاف، ألقت العديد من النساء نظرات إعجاب صريحة، وهو واقف أمام القس في انتظار وصول عروسه.

سرى همس وسط الجمع عندما تقدمت "آني" لتنضم إلى "شيز".

وكان "جوني ستارهوك" الذي اتخذه "شيز" شاهدا على عقد الزواج قد عقد شعره الطويل الأسود على عنقه، واتخذ مظهرا رسميا عندما بدأت مراسم الزواج، وكان "شادو" قد اتخذ مكانه بجواره، وأخذ يهز ذيله.

كان انسياب المياه في النهر يشكل خلفية للاحتفال المقتضب. أعلنهما القس زوجا وزوجة، ودعاهما لأن يعلنا زواجهما بقبلة.

وعن بعد سمع صوت هدير ملح وقوي وكأنه هدير محركات سيارات تقترب.

عندما التفت "شيز" و"آني" إلى الجمع زادت الضجة قوة وتحديدا. إنه نوع من الهدير المنتظم وكأنه صوت سرب من طائرات الهيلوكوبتر.

بدأت الأرض تهتز أمام دهشة الجميع ثم ظهرت على طول ضفة النهر دراجة بخارية ضخمة.

تساءل أحد الحاضرين وقد بدا غير مطمئن أمام الموتوسيكل الهارلي الأسود الذي اندفع نحو الجمع:

- من يكون هذا؟

بدا سائق الدراجة البخارية أكثر تهديدا من الدراجة نفسها ذات المحرك الجهنمي.

ترك الرجل الطريق واخترق البراري، ثم وقف على بعد خطوات من الجمهور المذهول. ما إن وضع راكب الدراجة البخارية الجهنمية قدميه على الأرض حتى تعرف عليه كل من "شيز" و"جوني" في الحال.

إنه "جيوف دياز" بسترة البحرية والـ"تي شيرت" الأخضر، لم يتغير

على الإطلاق. لقد ظل كما هو في ذاكرة "شيز"، ونفس الصورة التي رآته عليها "آني" منذ خمس سنوات مضت.

كان مثل الشبح الجميل الفاتن، وكأنه ظهر مباشرة من الماضي، ليذكرها بكل التفاصيل المأساوية لآخر مهمة له ورفاقه كفدائيين.

ألقت "آني" نظرة مختلسة على "شيز" الواقف إلى جوارها، ورأت أنه يتذكر كل لحظة وكان الزمن عاد للوراء خمس سنوات وكان "جوني ستارهوك" نفسه مذهولا وكأنه منوم مغناطيسيا.

قال "جيوف" -وهو يقترب من الجميع-:

- "شيز بودين"؟ لقد أخبروني أنني أستطيع العثور عليه هنا.

تراجع الجمع خطوة للخلف وكان الرجل الغريب حيوان مفترس.

شق "شيز" طريقه وسط الحاضرين، ثم سحب "آني" معه. وصاح في الغريب:

- "دياز"! أنا "شيز".

بدا "جيوف دياز"، وكأنه أصيب بصدمة عندما رأى "شيز" في حلة العرس، وسأل:

- ما الذي يجري يا "بودين"؟ لقد تلقيت رسالة عاجلة تقول: إن حياتك في خطر.

قال "شيز" -شاكرا لمساعده القديم-:

- آسف أيها العجوز، لقد وصلت متأخرا جدا لإنقاذي، إنني تزوجت في التو واللحظة.

أخذت ابتسامة عريضة تضيء وجه العريس.

صاح "دياز" في ذهول:

- تزوجت؟

كان من الواضح أن "دياز" لايزال تحت تأثير الصدمة. قال -وهو

موزع بين ضحك مجنون، وعدم التصديق-:

- أنا لا أستطيع أن أصدق! "شيز بودين"؟ متزوج؟ هل هذا حلم أم حقيقة؟

صمت فترة طويلة ثم استطرد:

- أقدم لك تعازي القلبية! أنا آسف جدا لأن أسمع هذا. لو انني وصلت مبكرا ساعة فقط لاستطعت أن أنقذك من هذا المصير المحتوم.

- لو وصلت من ساعة لكنت أنت الذي يصحب العروس إلى المذبح ويقدمها لي.

كان التهكم واضحا في نبرة صوت "شيز" وهو يخترق الجمهور ليذهب لتحية القادم الجديد الذي سأل "جوني":

- "ستارهوك"؟ ما الذي تفعله هنا؟

ابتسم "جوني" وقد لمعت عيناه السوداوان اللامعتان مكرا:

- لقد كنت ضمن المؤامرة لوضع "شيز" في هذا الوضع الغريب.

القى "جوني دياز" نظرة اخرى على "شيز"، كان متعاطفا معه من كل قلبه.

-هل هذا ما كنت تقصد أن تقوله من إنك تتعرض للخطر؟

- ربما كان من الأفضل أن تقابل الخطر الذي تعرضت له شخصيا.

دفع "شيز" "آني" أمامه ولف ذراعه حول كتفيها:

- هذه هي زوجتي، ربما تتذكرها.. أليس كذلك؟ إنها "آني ديلز".

أخذ "جيوف" يحك رأسه، وهو يحدق بإمعان في وجه "آني" المشرق. قالت عيناه اللتان كانتا بلون الزمرد الأخضر إنه يتذكر ويفهم، ثم قال أخيرا:

- إنها الفتاة التي انقذتها، تلك التي كانت ميتة حسب ما قالوه لنا؟

استدار نحو "شيز" وقال:

- إنها أكثر من حسناء يا "بودين"، إنها جنية من جنيات الأساطير

او حورية من البحر، لا يدهشني إذن أن أراك وقد فقدت صوابك، وتزوجتها.

مدت "آني" يدها لـ"جيوف دياز" لتصافحه، وقالت وقد غامت عيناها فجاة بينما زاد عمق زرقتهما بشدة:

- شكرا!

شد "جيوف" على يدها بقوة حتى أوشك أن يسحقها. كان استقباله لها وديا وحارا ولكن "شيز" فرق بينهما عندما هم "دياز" باحتضان العروس، وانتزع يد العروس الهشة من قبضته الحديدية.. ياله من دب قطبي متوحش! قال "شيز" له في لهجة امتعاض، وهو يحيط "آني" بذراعيه في حركة حماية وتملك:

- اعثر لنفسك على زوجة يا "دياز". إن هذه هي زوجتي!

كان الرجلان -مساعدا "شيز" القديمان- في حالة نشوة وضحك من أعماق القلب، وهما يحسدان صديقهما القديم على حظه الرائع. قال لهما "شيز" متهكما:

- لا تظهرا بهذا المظهر الحزين على مصيري فمن المحتمل أن تقعا في نفس المصير.

كان الثلاثة في منتهى الانفعال والسعادة بعد أن مرت خمس سنوات على فراقهما المأساوي، على اثر فشل مهمتهم في "امريكا" الوسطى.

ضحك "شيز" و"آني" من أعماق قلبيهما وهما يريانهما يحدجانهما في حقد، ولكن عندما تأملت "آني" وجهي الصديقين القديمين لـ"شيز" نزل عليها الإلهام بان الرجلين الآخرين من النوع الذي لا يستطيع أن يرتبط بالزواج ومسؤولياته، ولا شك في انهما متمردان مثل "شيز" على أي ارتباط فعلي قد يجعلهما يقومان باعباء هما في غنى عنها، لقد أحست بالعطف على المرأة التي قد يرتبط أي منهما بها.

استقرت نظراتها على "جيوف دياز". وقالت في نفسها: إنها لا تتمنى أن تكون الزوجة التي تروض هذا الأسد المتوحش. إن تلك الزوجة لابد أن تحتاج إلى سوط ومقعد لترويضه، مثلما يفعل مروضو الأسود في السيرك.. إنه لن يخضع مالم تكن المروضة ماهرة.

أما بالنسبة لـ"جوني ستارهوك" فإنها لم يسبق لها أن رأت قطا بريا متوحشا، ومشكوكا فيه، وفي تصرفاته مثله. إنه مثل الفهد الأسود المستعد للقفز على فريسته، ولكن من تكون الفريسة؟

إن "آني" لو استطاعت أن تقرأ المستقبل وتعرف من هي الفريسة البريئة التي كتب عليها أن تكون زوجة له، لنصحتها في الحال أن تطلق ساقيها للريح، وتبتعد عنه إلى أقصى مكان ممكن. ارتجفت "آني" -ليس من البرد بالتأكيد- وإنما شكرت السماء على المكان الذي منحته لها مع "شيز بودين".

انساقت العروس مع أحلامها التي انتزعتها منها أصوات الهتاف وتصفيق الحاضرين لتعيدها إلى الاحتفال بالزفاف، زفافها إلى حبيب قلبها "شيز بودين".

قرأت في عيني زوجها السوداوين الحب، وتحقيق حلمها، ذلك الحلم السري الذي كان يداعب خيالها منذ خمس سنوات، بعد أن مرت بأهوال كانت كفيلة بأن تنسيها ذلك الحب، ولكن الحلم والأمل لم يكفا عن مراودتها، والآن وقد تحقق الحلم فإنها تستسلم إلى البهجة والسرور والسعادة التي يشاركها فيها الجمع الذي حضر حفل زفافها تتويجا لحبها العظيم. أخذت تردد في نفسها: إنها المعجزة التي انتظرتها ولا شك أن القدر يخبئ لي معجزات كثيرة أخرى.

تمت